جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بكفر الشيخ

المؤتمر الدولي الأول تحت عنوان : "البعد الإنساني في التراث العربي والإسلامي"
٢٩ من ذي الحجة ١٤٤٢ هـ = الموافق ٨ أغسطس ٢٠٢١م

رعاية النبي ﷺ للجانب الإنساني في تعامله مع الناس
(نماذج من الأدب النبوي الرفيع)

تأليف
راجي عفو ربه الكريم
د/ الدمراني عبد الله عبد الغني سعد
مدرس الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية
بدمياط الجديدة - جامعة الأزهر

رعاية النبي ﷺ للجانب الإنساني في تعامله مع الناس
(نماذج من الأدب النبوي الرفيع)

الدمراني عبد الله عبد الغني سعد

قسم الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية بدمياط الجديدة – جامعة الأزهر

الملخص :

هذا البحث يحاول أن يبرز جانبا من جوانب العظمة في شخص نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وهو ما انطوت عليه نفسه الشريفة ﷺ من سمو في علاقاته وتعامله مع الآخرين، ورعايته للجانب الإنساني في تعامله مع الناس على اختلاف أصنافهم، ويبين كيف كان النبي ﷺ يحتاط في أقواله وأفعاله لتكون بلسما شافيا لكل من لقيه أو حادثه، بل كان يعمل على إمداد هذه النفوس بما يبث فيها من الثقة والعزة وسمو النفس والسكينة والطمأنينة، ويرفع عنهم الحرج والمشقة، والبحث يشتمل على نماذج من الأدب النبوي الرفيع ، التي تؤكد على هذا الجانب وتبرزه بوضوح لا لبس فيه، قد انتقيت أحاديثه من الصحيحين، ولم أخرج عنهما إلا قليلا، مع تحري الصحة ، وعلقت على الأحاديث تعليقات مختصرة تكشف عن معانيها، وتبرز جوانب العظمة فيها.

الكلمات المفتاحية : الجانب – الإنساني – الأدب – النبوي – الرفيع.

Abstract:
This research work attempts to highlight an aspect of greatness in the person of our Holy Prophet Mohamed (PBUH), which is what his graceful soul entails the distinction highness in his relations and dealings with others, and his carness for the human being in his dealings & interactions with people of all kinds. It shows how the Prophet Mohamed (PBUH), was careful in his words and actions to be a healing balm for everyone who met him or talked to him. Not only this, but he worked to provide these souls with what he instilled in them of confidence, pride, self-transcendence, tranquility & serenity. And also, he worked to relieve their hardships & difficulties. The research includes patterns of Prophet's high morals ' that insure and highlight that side clearly. The researcher has elected these Hadith pretty much from Al sahihain(Albokhary&Muslem) rarely from other hadith resources considering validity. He have mentioned some short comments on the hadiths that reveal their meanings and highlight the aspects of greatness in them.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فهذه نماذج من الأدب النبوي الرفيع انتقيتها من رياض السنة المطهرة تبرز جانبا من جوانب العظمة في شخص نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ولست مبالغا حين أقول إنني أحتار من أين أبدأ حين أتحدث عن سيدي رسول الله ﷺ، إن جوانب العظمة في شخصه الكريم صلوات الله وسلامه عليه تأخذ بمجامع النفس فلا يكاد ينبهر المرء بجانب منها حتى يأخذ بنفسه جانب آخر، كان عظيما مع أعدائه كما كان عظيما مع أصحابه، وكان عظيما في حربه كما كان عظيما في سلمه، عاشر المشركين بمكة، وعاشر اليهود بالمدينة فلم يجدوا في أخلاقه مغمزا.

إنك لا تصادف هذه الأخلاق في موقف عابر، أو حتى في بضعة مواقف، بل تجدها ظاهرة منتشرة في تعامله من الناس على اختلاف أصنافهم، من آمن به ومن لم يؤمن، مما يدل على أن حسن خلقه ﷺ لم يكن متكلفا بل كان سجية فيه صلوات الله وسلامه عليه ، وقد عرف هذا عنه حتى قبل بعثته، وهنا نذكر قول أم المؤمنين قول خديجة رضي الله عنها لما جاءها من غار حراء خائفا: " فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق"(١)، ويكفيه قول الحق سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: ٤] .

وتأتي أهمية هذا الطرح في وقت ازداد فيه انفتاح الشباب على المعارف العالمية وانتقلت إلى بعضهم شبهات لوثت عقول الكثير منهم بعضها يحاول النيل من شخص نبينا الأكرم ﷺ، فجمعت هذه النماذج تهييجا لريح المحبة في قلوب محبيه، ونكاية في شانئيه ومبغضيه، حتى لا يكون حبنا لرسول الله ﷺ ضربا من التقليد، وحتى نستحضر

(١) جزء من حديث بدء الوحي أخرجه البخاري في عدة مواضع منها كتاب التفسير، باب تفسير سورة العلق، رقم (٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي رقم (١٦٠) .

بعض ما رآه الصحابة الكرام ﷺ من عظيم شمائله فأخلصوا في حبه ، وأعطوه حقه من التبجيل حتى قال عروة بن مسعود الثقفى لما رأى تعظيم الصحابة لرسول الله ﷺ : "والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر ، وكسرى ، والنجاشي ، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدا"(١).

أدرك الصحابة الكرام مكانة رسول الله ﷺ فقدموا أرواحهم رخيصة يحمون بها جنابه الكريم، ما أحوجنا إلى أن نشعر بهذا الحب العميق الذي انطوى عليه قلب زيد بن الدَّثِنة(٢) ﷺ حين قال له أبو سفيان لما قدموه ليقتل : أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ فقال له زيد ﷺ: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنى جالس في أهلي(٣).

---

(١) جزء من حديث صلح الحديبية أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (٢٥٨١/٩٧٤/٢).

(٢) الدثنة : بفتح الدّال وكسر المثلثة بعدها نون كما في الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٥٠٠.

(٣) رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا كما سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٢، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٤٣/٢ ، والطبري في تاريخه ٥٤٢/٢ ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١١٨٣/٣، وابن الأثير في أسد الغابة ٣٥٧/٣.

وقد جاء بإسناد ضعيف أن القصة حدثت لخبيب بن عدي أخرجه الطبراني في الكبير (٥٢٨٤/٢٥٩/٥)، والبيهقي في دلائل النبوة ٣٢٦/٣ من طريق ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير ، وابن لهيعة ضعيف ، والإسناد مرسل أيضا لأن عروة لم يدرك هذه القصة.

وقد توبع ابن لهيعة عليه أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣٢٦/٣ من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن موسى بن عقبة، وهو أيضا مرسل ، ولا يبعد أن يكون أخذه عن عروة بن الزبير، فتبقى علة الإرسال.

وقد وصله الواقدي فقد أخرجه في المغازي ٣٦٠/١ قال : حدثني قدامة بن موسى، عن عبد العزيز بن رمانة، عن عروة بن الزبير، عن نوفل بن معاوية الديلي، قال: حضرت يومئذ دعوة خبيب ... فذكر القصة.

ونوفل بن معاوية صحابي من مسلمة الفتح ترجمته في الإصابة ٣٨٠/٦ ، لكن الواقدي متروك كما في تقريب التهذيب ص٤٩٨، وعبد العزيز بن رمانة لم أجد له ترجمة.

وله طريق آخر لكنه شديد الضعف لا يفرح به، أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٤٥/٢ من طريق الهيثم بن عدي، ثنا ثور بن يزيد، ثنا خالد بن معدان، قال: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر فذكر قصة طويلة فيها أنه شهد مقتل خبيب بن عدي، وهذا إسناد ساقط فيه الهيثم بن عدي كذبه ابن معين وأبو داود. ميزان الاعتدال ٣٢٤/٤.

ومجموع الطرق يدل على أن للقصة أصلا ، وإن اختلف في صاحبها، فلا بأس أن يستأنس بها في السير والمناقب ونحوهما.

وقد أبدع يراع الأستاذ محمود غنيم في تصوير هذا المشهد فقال:

أسرت قريش مسلما في غزوة ... فمضى بلا وجل إلى السياف

سألوه هل يرضيك أنك سالم ... ولك النبي فدًى من الإتلاف؟

فأجاب: كلا لا سلمت من الردى ... ويصاب أنف محمد برعاف(١)

إن القارئ للسنة النبوية المطهرة والسيرة الشريفة لسيدنا رسول الله حتى ولو لم يكن مؤمنا بنبوته ليزداد إجلالا لشخصه الكريم، ويأخذه العجب كيف تتفجر ينابيع الإنسانية من شخص عاش في هذه البيئة الجاهلية التي اكتظت بالمفاسد والضلالات، وإنه لمن الخطل البين أن يحكم على الشخص دون مراعاة الظروف التي أحاطت به.

تقول الكاتبة البريطانية (كارين آرمسترونج) متحدثة عن النبي ﷺ: "كان رؤوفا شديد التأثر، وعلى قدر هائل من التعاطف ... فنحن إذا استطعنا النظر إلى محمد كما ننظر إلى الشخصيات التاريخية العظيمة الأخرى، فمن المؤكد أننا سنراه أحد أعظم العباقرة الذين عرفهم التاريخ ... ولكي نوفي عبقريته حقها فإن علينا دراسة المجتمع الذي ولد فيه والقوى التي صارعها"(٢).

ويقول العالم الأمريكي مايكل هارت وهو بصدد ذكر المبررات في اختياره النبي ﷺ ليكون على رأس قائمة العظماء المائة الذين اختارهم : "لقد اخترت محمدا [ﷺ] في أول هذ القائمة ، ولابد أن يندهش كثيرون ومعهم حق، لكن محمدا هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي ، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات العالم، وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا، وبعد مرور ثلاثة عشر قرنا على وفاته فإن أثر محمد [ﷺ] لا يزال قويا متجددا، وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا إلا محمدا [ﷺ] فهو قد ولد سنة ٥٧٠ ميلادية في مدينة "مكة"، جنوب شبه الجزيرة العربية

(١) من قصيدة له بعنوان (ذكرى محمد ﷺ في عيد ميلاده) نشرت في مجلة الرسالة العدد (٥٤).
(٢) سيرة النبي محمد ص ٨١.

في منطقة متخلفة من العالم القديم بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن"(١).

فما أحوجنا إلى إعادة عرض السنة المطهرة ، والسيرة الشريفة في ثياب جديدة تناسب القارئ المعاصر ، وأقتبس هنا ما دبجه يراع الأديب الأريب فضيلة الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله تعالى – في مقدمة كتابه (فقه السيرة) حيث قال : " من الظلم لفترة نابضة بالحياة والقوة أن تعرض في أكفان الموتى، إن حياة محمد ﷺ ليست– بالنسبة للمسلم– مسلاة شخص فارغ، أو دراسة ناقد محايد، كلا كلا؛ إنها مصدر الأسوة الحسنة التي يقتفيها، ومنبع الشريعة العظيمة التي يدين بها، فأيّ حيف في عرض هذه السيرة، وأي خلط في سرد أحداثها إساءة بالغة إلى حقيقة الإيمان نفسه"(٢).

وفي هذا البحث سألقي الضوء على جانب مهم من جوانب العظمة المحمدية، وهو الجانب الإنساني أبين فيه ما انطوت عليه نفسه الشريفة ﷺ من سمو في علاقاته وتعامله مع الآخرين، وحين تسمو نفس الإنسان تجده يحتاط في أقواله وأفعاله حتى لا يتسبب بقصد أو بدون قصد في إيصال الأذي إلى نفوس الآخرين، وهكذا كان النبي ﷺ يحتاط في أقواله وأفعاله لتكون بلسما شافيا لكل من لقيه أو حادثه، بل كان يعمل على إمداد هذه النفوس بما يبث فيها من الثقة والعزة وسمو النفس والسكينة والطمأنينة، ويرفع عنهم الحرج والمشقة.

وقد أودعت هذا البحث تجربة صادقة في محبة سيدي رسول الله ﷺ ، وما أنا إلا تلميذ صغير في مدرسته المباركة التي خرجت ألوف العلماء والدعاة، وإني لأرجو أن يجد القارئ فيه تفسيرا عمليا لقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ [القلم: ٤]، وجدير بالذكر أن موضوعات هذا البحث جزء من مادة للدروس التي كنت ألقيها خلال شهر رمضان

(١) الخالدون مائة ص ١٣، ١٤.
(٢) فقه السيرة ص ٦.

المعظم خلال السنوات الماضية ، فهو وليد معايشة لسيرته الطاهرة وسنته الشريفة دامت عدة سنوات.

وقد انتقيت الأحاديث من الصحيحين حتى يكون العزو إليهما أو إلى أحدهما كافيا لإثبات صحة الحديث ، ولم أخرج عنهما إلا قليلا، مع تحري الصحة ، ولم أطل في التخريج لأن المقام لا يناسب البسط، وعلقت على الأحاديث تعليقات مختصرة تكشف عن معانيها، وتبرز جوانب العظمة فيها، وقسمته إلى مقدمة ثمانية مباحث وخاتمة وهذا مسرد مباحثه:

المبحث الأول : جبره ﷺ للخواطر

المبحث الثاني : رعايته ﷺ لمشاعر الناس وأحاسيسهم

المبحث الثالث : مراعاته ﷺ لأحوال الناس وظروفهم

المبحث الرابع : سماحته ﷺ ولين جانبه

المبحث الخامس : حفظه ﷺ للجميل

المبحث السادس : تواضعه ﷺ للضعفاء

المبحث السابع : رحمته ﷺ بالعصاة والمخطئين

المبحث الثامن : حسن عهده ﷺ

أسأل الله تعالى أن يكتب له القبول، وأن يعم به النفع، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

راجي عفو ربه الكريم

د/ الدمراني عبد الله عبد الغني سعد

مدرس الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية بدمياط الجديدة

دمياط الجديدة في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر ذي القعدة لعام ١٤٤٢هـ

الموافق ٢٠٢١/٧/٦م

المبحث الأول : جبره ﷺ للخواطر

الخاطر يطلق في اللغة على عدة معاني أقربها إلى المقصود هنا قول الأزهري : "(الخاطر) ما يخطر –أي يجول– في القلب من تدبير أو أمر"(١)، وقال أيضا: "يقال: خطر ببالي وعلى بالي كذا وكذا يخطر خطورا إذا وقع ذلك في بالك وهمك"(٢)، وجبر الخاطر تعبير معاصر معناه إزالة ما في نفس الإنسان من حزن لأمر وقع، وتعويضه عنه بأمر يحبه، جاء في (معجم اللغة العربية المعاصرة) : "جبر خاطره وجبر بخاطره: أجاب طلبه، عزاه وواساه في مصيبة حلت به، أزال انكساره وأرضاه(٣).

وجبر الخواطر خلق حميد له أصل في القرآن الكريم، ويشهد له قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾ [البقرة: ٢٦٣] فقد قضى الحق سبحانه وتعالى أن جبر خاطر الفقير بدعاء أو كلام طيب أفضل من التصدق الذي يتبعه المن والأذى، وقد وجه الرازي هذا بقوله: "بيّن تعالى أن فعل الرجل لهذين الأمرين خير له من صدقة يتبعها أذى ، وسبب هذا الترجيح أنه إذا أعطى، ثم أتبع الإعطاء بالإيذاء، فهناك جمع بين الإنفاع والإضرار ، وربما لم يف ثواب الإنفاع بعقاب الإضرار ، وأما القول المعروف ففيه إنفاع من حيث إنه يتضمن إيصال السرور إلى قلب المسلم ولم يقترن به الإضرار، فكان هذا خيراً من الأول(٤).

ومن شواهده في القرآن أيضا قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾ [الإسراء: ٢٨] قال الشنقيطي: "فهذا تعليم عظيم من الله لنبيه لمكارم الأخلاق ، وأنه إن لم يقدر على الإعطاء الجميل فليتجمل في عدم الإعطاء . لأن الرد الجميل خير

(١) تهذيب اللغة ١٠٤/٧ (خطر).
(٢) تهذيب اللغة ١٠٣/٧ (خطر).
(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣٤١/١.
(٤) التفسير الكبير ٤٣/٧.

من الإعطاء القبيح"(١).

ومن شمائله الشريفه صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يكسر قلب أحد أمَّل فيه خيرا، بل كان يمنح مما عنده ما وسعه المنح، وإلا طيب خاطر سائله ولو بكلام عذب لين يريح القلب ويبعث على الطمأنينة، والسنة النبوية الشريفة حافلة بصور رائعة من هذا الهدي النبوي الكريم .

ومن المواقف الآسرة في السيرة النبوية المطهرة، والتي يرق لها القلب وتدمع لها العين شوقا وحبا لرسول الله ﷺ قصة توزيعه للغنائم يوم حنين حيث قسم ﷺ الغنائم على المؤلفة قلوبهم من مسلمة الفتح ، ولم يعط الأنصار شيئا ، فكأنهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، وتحدث بعض حدثاء الأسنان منهم أن النبي ﷺ قد أسلم قومه، وسينسى فضل الأنصار الذين خاضوا المعارك ضدهم، وذادوا عن حياض الدين في الوقت الذي كان قومه يحاربون الله ورسوله، ولعل سيوفهم ما زال فيها أثر دماء بعضهم، فجمعهم النبي ﷺ وخطبهم خطبة رقيقة فيها مكاشفة ، ومصارحة طابت لها نفوسهم.

أخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال ناس من الأنصار ، حين أفاء الله على رسوله ﷺ ما أفاء من أموال هوازن ، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالا المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشا ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ، قال أنس ﷺ: فحُدث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أَدَمٍ(٢) ، ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال : " ما حديث بلغني عنكم؟" ، فقال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشا ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ، فقال النبي ﷺ: " فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ، فوالله لما تنقلبون

(١) أضواء البيان ٣/٨٦.

(٢) جمع أديم وهو الجلد المدبوغ. تفسير غريب ما في الصحيحين ص ٤٢٧.

به خير مما ينقلبون به" قالوا : يا رسول الله قد رضينا ، فقال لهم النبي ﷺ : " ستجدون أثرة شديدة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ فإني على الحوض"(١).

بهذه الكلمات الرقيقة انتقل بهم ﷺ من موقف المعترض العاتب إلى موقف المحب الراضي، لقد كان في وسعه أن يسلط عليهم سيف طاعته، فهو رسول الله الذي تجب طاعته والانقياد لأمره، والرضا به ، لقد قال لهم الله سبحانه وتعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥] لكن الله عز وجل وهبه من سمو النفس وشريف الشمائل ما جعله يسعى لتطييب خاطرهم، وكيف لا تطيب خواطرهم وهم سيظفرون برسول الله ﷺ إن ظفر الناس بالشاة والبعير.

لقد كان عنده ﷺ من الشجاعة والمصارحة ما جعله يصرح ببعض ما يمكن أن يكون قد دار في نفوس بعضهم فقال لهم: " ألا تجيبونني يا معشر الأنصار " قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ، ولله ولرسوله المن والفضل . قال : " أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك"(٢).

أما السر في إعطاء النبي ﷺ للمؤلفة وترك الأنصار فقد أفصح عنه بقوله صلوات الله وسلامه عليه: " فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم" ، وجاء في

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف (٤/١٥٧٤/٤٧٦)، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (٢/٧٣٣/١٠٥٩).

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢/٥٠٠ ، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أحمد في المسند ٢/١٧٦ ، وابن أبي شيبة (٧/٤١٨/٣٦٩٩٧) ، والطبري في تاريخه ٢/١٧٦، وابن المنذر في الأوسط (١١/١٤١/٦٥٣٠) ، وابن بشران في الأمالي ص ٣٣٧، رقم (٧٨٢) ، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/١٧٦ قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري ... فذكر القصة ، وهذا إسناد حسن ، محمد بن إسحاق صدوق مدلس كما في التقريب ص ٤٦٧، لكنه صرح هنا بالتحديث فأمن تدليسه، وللحديث طرق أخرى عن أبي سعيد.

رواية أبي سعيد الخدري ﷺ: "أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لُعاعة(١) من الدنيا ، تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم؟"(٢) ، بهذا كشف النبي ﷺ عن حكمة وبصيرة، ورحمة لا نظير لها، إنه يتألف أقواما لا تجذبهم إلا المادة.

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: "وماذا يصنع؟ إنّ في الدنيا أقواما كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم، فكما تهدى الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظلّ تمد إليها فمها حتى تدخل حظيرتها آمنة! فكذلك هذه الأصناف من البشر، تحتاج إلى فنون من الإغراء حتى تستأنس بالإيمان وتهشّ له"(٣).

لقد كان هؤلاء المؤلفة قلوبهم أعداءه بالأمس يحاربونه، ويودون لو ظفروا برأسه، إلا أن ما أسكنه الله تعالى قلبه الشريف من رحمة جعلته يحرص على هدايتهم وثباتهم على الإسلام، فإذا كان بذل هذه اللعاعة –كما سماها النبي ﷺ– كفيل بهذا الغرض فأي مانع إذن؟ فلم يكن ﷺ يحتفي بزخرف الحياة الدينيا وزينتها ، ولم يشغل شيئا من وقته النفيس بجمع حطامها لأجل هذا هان عليه أن يبذلها لهؤلاء رجاء إسلامهم.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث جبير بن مطعم ﷺ أنه بينا هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس ، مقبلا من حنين ، علقت رسول الله ﷺ الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرة(٤) ، فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ فقال : " أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العِضَاه نَعَمًا(٥) ، لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ، ولا كذوبا ،

(١) اللُعاعة –بضم اللام– نبت ناعم في أول ما ينبت، والمراد بها هنا الشيء اليسير. النهاية في غريب الحديث ٢٥٤/٤ (لعع).

(٢) جزء من حديث أبي سعيد الخدري الذي سبق تخريجه قريبا.

(٣) فقه السيرة ص ٣٩٤.

(٤) السمرة بفتح السين وضم الميم : واحدة السمر –بوزن رجل– هو شجر طوال متفرق الرؤوس قليل الظل صغار أورق قصار الشوك جيد الخشب. النهاية ٣٩٩/٢ ، مختار الصحاح ص٣١٣، عمدة القاري ١١٨/١٤.

(٥) العضاه بكسر العين المهملة ، وفتح الضاد المعجمة : شجر عظيم له شوك، والواحدة : عضة بالتاء، وأصلها عضهة . وقيل واحدته : عضاهة. النهاية في غريب الحديث ٢٥٥/٤ (عضه). والنعم : مفرد الأنعام ، وهي الإبل والبقر والغنم، وأكثر ما تطلق على الإبل. مختار الصحاح ص٦٦٩ (نعم). والمراد لو كان عندي أنعام كثيرة بعدد هذه الأشجار لأعطيتكم إياها، ولم أستبق لنفسي شيئا.

ولا جبانا"(١).

أما الأنصار فعندهم من قوة الإيمان وصفاء النفس ، والإخلاص لله ورسوله ما يجعلهم يترفعون عن هذه السفاسف، وما أروع هذه العبارة "ووكلتكم إلى إسلامكم" لقد تحول ما يظنونه خسارة إلى مكسب كبير، وأي مكسب أعظم من هذا الثناء العظيم من رسول الله ﷺ، ثم إن النبي ﷺ عوضهم عن هذه السفاسف الفانية بما لا يقدر بمال، إنه رسول الله ﷺ نفسه، فقال ﷺ كما جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ: "أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به(٢)، وفي حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ: "أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شِعار(٣) والناس دِثار"(٤)، وزاد أبو سعيد الخدري ﷺ دعاء النبي ﷺ لهم قائلا: "اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار"(٥).

لقد كانت هذه الكلمات بلسما شفى ما في نفوسهم وخرجوا راضين مسرورين بنصيبهم الأكبر وحظهم الأوفر، إنه رسول الله ﷺ ، وقد وفى لهم رسول الله ﷺ فبقي معهم في المدينة حتى مات ودفن بها صلوات الله وسلامه عليه، وحسبهم من الشرف أن يكون فيهم رسول الله ﷺ.

هذه المصارحة والمكاشفة كان ملؤها الحب والعاطفة الصادقة مما جعل الأنصار يبلون لحاهم من البكاء تأثرا بكلام رسول الله ﷺ، لقد طابت نفوسهم، وفقهوا عن رسول

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم (٢٩٧٩/١١٣٧/٣).
(٢) جزء من حديث أنس بن مالك الذي سبق تخريجه قريبا.
(٣) الشعار هو الثوب الذي يلي الجسد، سمي شعارا لأنه يلي شعره، والدثار الثوب الذي فوق الشعار. النهاية ٤٨٠/٢(شعر).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف (٤٠٧٥/١٥٧٤/٤) ، ومسلم كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (١٠٦١/٧٣٨/٢).
(٥) جزء من حديث أبي سعيد الخدري الذي سبق تخريجه قريبا.

الله ﷺ مراده فقالوا : "رضينا برسول الله قسما وحظا"(١)،

وقد جعل النبي ﷺ حب الأنصار علامة من علامات الإيمان، وبغضهم دليلا على النفاق فقال: "آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار"(٢)، وكيف لا يكون حبهم دليلا على الإيمان، وهم الذين نصروا الله ورسوله، وبذلوا أموالهم وأولادهم وأرواحهم محبة لله ورسوله ﷺ، ووصفهم الحق سبحانه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: ٩] ومع هذا لم ينالوا ما ناله غيرهم من شئون الإمارة والحكم، وخاصة بعدما قويت الدولة الإسلامية واشتد عودها، وقد أخبرهم النبي ﷺ بهذا، وأمرهم بالصبر فقال: " ستجدون أثرة شديدة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ فإني على الحوض"(٣).

وما ألطف ما قاله الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: "والأنصار – في تاريخ الدعوات – مُثُل فريدة للرجال الذين تقوم بهم الرسالات العظمى؛ حتى إذا استوت على سوقها، وتجاوزت أيام محنتها ومؤنتها، وتدلّت ثمارها وحلا جناها، جاءت أيد غير أيديهم، فقطفت ما تشتهي، ولم تكتف بذلك! بل لطمت أيدي الغارسين حتى لا تلقط من الثمار الساقطة قليلا ولا كثيرا!!. ولا نقول ذلك تعليقا على توزيع الغنائم في هذا المقام، فقد اتضح وجه الرشد في هذه القسمة الحصيفة ، ولكنّا نذكر في مناقب الأنصار، وافتراض ترفّعهم عن الدنيا في سبيل الدين، وتأليف الناس عليه، أنّ شؤون الحكم ابتعدت عنهم، واحتازها غيرهم وهم لها أكفاء، فلم تمض ثلاثون سنة حتى كانت في أيدي الطلقاء، ولا ريبة في أنّ أولئك المتجرّدين لله سوف يلقون جزاءهم الأوفى، وأن شأن الدنيا

(١) جزء من حديث أبي سعيد الخدري الذي سبق تخريجه قريبا.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار (١٧/١٤/١) ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته ، وبغضهم من علامات النفاق (٧٤/٨٥/١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) جزء من حديث أنس بن مالك عند البخاري ومسلم، سبق تخريجه .

أنزل قدرا من أن يأسى عليه رجل العقيدة"(١).

وإذا كان النبي ﷺ بتطييب خاطر الأنصار قد حول ما يظنونه خسارة إلى مكسب كبير، فإنه ﷺ قد حول ما ظنه علي ﷺ منقصة إلى منقبة من مناقبه، فمن الصور المشرقة التي تدل على حنكة النبي ﷺ ، وقدرته على الإقناع وإدارة الحوار أنه ﷺ لما خرج إلى تبوك ، استخلف عليا ﷺ على المدينة ، فقال علي ﷺ : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ فقال له النبي ﷺ: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي"(٢).

إن عليا ﷺ تتوق نفسه للجهاد في سبيل الله تعالى، ويأنف أن يكون مع المتخلفين عنه لعذر كالنساء والصبيان، لكن رسول الله ﷺ رأى أن المصلحة في بقائه خليفة له في المدينة حتى يرجع، وهو عمل لا يقل في أهميته عن الجهاد، وحتى لا ينكسر قلبه طمأنه وبث السكينة فيه بهذه الكلمات التي هي من أجل مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فما أحلمه وأعظمة ﷺ لقد استطاع بحنكته وحلمه أن يحول ما رآه علي ﷺ منقصة أو مذمة إلى منقبة سجلت في صحائف فضائله ﷺ.

وإنا لنلمح أثر تطييب الخواطر في نفس الإنسان وفرحه به في قصة أسماء بنت عميس رضي الله عنها مع عمر بن الخطاب ﷺ حين افتخر على أسماء بنت عميس رضي الله عنها بأنه سبقها بالهجرة إلى رسول ﷺ فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ في قصة أخرجها الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ جاء فيها : دخلت أسماء بنت عميس ، على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة ، وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس ، قال عمر : الحبشية هذه البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم ، قال : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم ، فغضبت وقالت : كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار – أو في أرض – البعداء البغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول ﷺ، وايم الله لا أطعم

(١) فقه السيرة ص٣٩٦.

(٢) أخرجه البخاري – واللفظ له – في كتاب المغازي، باب غزوة تبوك (٤/١٦٠٢/٤١٥٤) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٤/١٨٧٠/٢٤٠٤).

طعاما ولا أشرب شرابا ، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف ، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ، ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا نبي الله إن عمر قال : كذا وكذا ؟ قال : " فما قلت له ؟ " قالت : قلت له : كذا وكذا ، قال : " ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم –أهل السفينة– هجرتان"(١).

كذا أجابها النبي ﷺ بما طيب خاطرها وخاطر أصحابها ممن هاجر إلى الحبشة، قد سروا بهذا الحديث حتى جعلوا يتوافدون على أسماء رضي الله عنها يسألونها عن هذا الحديث، تقول رضي الله عنها: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالا ، يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبيﷺ .

وقد يكون لعدة أشخاص رغبة في شيء واحد، فإن حكمت به لواحد منهم تكدر خاطر الآخرين وهنا يأتي البلسم النبوي الشافي فيمنح كل واحد منهم ما يطيب خاطره ويذهب عنه الكدر.

جاء في في صحيح البخاري أن النبي ﷺ لما خرج من مكة بعد عمرة القضاء تبعتهم ابنة عمه حمزة تقول : يا عم يا عم ، فتناولها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة عليها السلام : دونك ابنة عمك ، فحملتها ، فاختصم فيها علي ، وزيد ، وجعفر ، فقال علي : أنا أحق بها وهي ابنة عمي ، وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد : ابنة أخي ، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها ، وقال : "الخالة بمنزلة الأم" ، وقال لعلي : "أنت مني وأنا منك" ، وقال لجعفر : "أشبهت خلقي وخلقي" ، وقال لزيد : "أنت أخونا ومولانا"(٢).

بهذه الكلمات –القلية في ألفاظها الكبيرة في معانيها– طيب النبي ﷺ خاطر الثلاثة، وقد يقال: إن النبي ﷺ قضى بها لجعفر، فلم يكن محتاجا لتطييب خاطر، والجواب: أن النبي ﷺ إنما قضى بها لأنه كان زوج خالتها، فكأنه قضى بها لخالتها

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة خيبر (٣٩٩٠/١٥٤٦/٤)، و مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس (٢٥٠٢/١٩٤٦/٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب : كيف يكتب هذا : ما صالح فلان بن فلان (٢٥٥٢/٩٦٠/٢) ، ومسلم في كتاب الجهاد ، باب صلح الحديبية في الحديبية (١٧٨٣/١٤١٠/٣).

لا له، فاحتاج إلى تطييب قلبه مثلهما(١).

ومن جبره للخواطر أنه ﷺ كان يقبل الهدية وإن قلت، ويجيب الدعوة وإن كانت إلى طعام زهيد قال ﷺ: "لو دعيت إلى كُراع(٢) لأجبت ، ولو أهدي إلي كُراع لقبلت"(٣)، ورجل الشاة ليس مما يحتفي به الناس في طعامهم، والدعوة إليه كانه دعوة إلى لا شيء، لكن خلقه الرفيع ﷺ يحمله على إجابة الدعوة حتي لا تتكسر الفقراء الذين لا يجدون فاخر الطعام لأنفسهم فضلا عن غيرهم، وقد علم النبي ﷺ أمته هذا الأدب فقال : "إذا دعيتم إلى كراع ، فأجيبوا"(٤).

ومن لطيف ما فعله النبي ﷺ في قبول الهدية وجبر خاطر من أهدى إليه أن رجلا أهدى له ثوبا فيه خطوط فقبله ولبسه وصلى فيه فانشغل في صلاته بهذه الخطوط التي في الثوب فقال لأصحابه : "اذهبوا بخميصتي(٥) هذه إلى أبي جهم، وأتوني بأَنْبِجَانِية(٦) أبي جهم ، فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي"(٧).

هكذا جبر النبي ﷺ قلب صاحبه أولا بقبول الهدية منه، ثم لما رأى أنها لا تناسبه وأراد أن يردها عليه طلب من أصحابه أن يأتوه بثوب آخر من ثيابه جبرا لخاطره لئلا يتكدر بأن النبي ﷺ قد رد عليه هديته، ومثله أن رجلا أراد أن يهدي له ﷺ صيدا اصطاده ، وكان النبي ﷺ محرما فلم يقبله، وقال له تطييبا لخاطره: " إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم"(٨).

---

(١) أفاده ابن دقيق العيد في كتابه إحكام الأحكام ٢١٦/٢.

(٢) الكراع بضم الكاف: مستدق الساق من البقر والغنم، يذكر ويؤنث، وجمعه أكرع، ثم أكارع . مختار الصحاح ص ٥٧٦ (كرع).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب من أجاب إلى كراع (٤٨٨٣/١٩٨٥/٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (١٤٢٩/١٥٤/٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها.

(٥) الخميصة: ثوب خز أو صوف معلم (أي فيه خطوط) ، وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قديما وجمعها الخمائص. النهاية ٨١/٢.

(٦)الأنبجانية بكسر الباء وقيل بفتحها : كساء يتخذ من الصوف وله حمل ولا علم له أي لا تخطيط فيه. النهاية ٧٣/١.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها (٣٦٦/١٤٦/١) ، ومسلم في كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام (٥٥٦/٣٩١/١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٨) أخرجه البخاري في الحج، باب : إذا أهدى للمحرم حمارا وحشيا حيا لم يقبل (١٧٢٩/٦٤٩/٢)، ومسلم في كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم (١١٩٣/٨٥٠/٢) من حديث الصعب بن جثامة ﷺ.

المبحث الثاني : رعايته ﷺ لمشاعر الناس وأحاسيسهم

(المشاعر) جمع مَشْعر ، ومن معانيها في اللغة الحواس الخمس(١) ، وقد شاع في التعبيرات المعاصرة استخدام كلمة (المشاعر) بمعنى الأحاسيس(٢)، وهو المعنى المقصود هنا.

قد يظن أن الأذى الذي نهينا عن إلحاقه بالآخرين هو الأذى البدني لكن المتصفح لنصوص الشرع الشريف يجد أننا نهينا أيضا عن كل تصرف يجرح مشاعر الآخرين بغير حق، ومن أدلة ذلك قول الله تعالى: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾ [البقرة: ٢٦٣] فالأذى المشار إليه في الآية إما أن يكون هو المن بالعطاء ، أو هو شيء آخر غير المن كالتطاول عليه بأنه أعطاه، أو أن يتكبر عليه لأجل العطاء، أو يعيره بالفقر(٣)، ولا شك أن كل هذا مما يؤذي نفس الفقير ويجرح مشاعره.

وحين تسمو نفس الإنسان تجده يحتاط في أقواله وأفعاله حتى لا يتسبب بقصد أو بدون قصد في إيصال الأذي إلى نفوس الآخرين، وهكذا كان النبي ﷺ يحتاط في أقواله وأفعاله لتكون بلسما شافيا لكل من لقيه أو حادثه، فلم يكن صلوات الله وسلامه عليه يواجه أحدا بما يكره.

أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا ، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر" وقال أبو هريرة : فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نَمِرة(٤) عليه ، فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : "اللهم اجعله منهم" ثم قام رجل من الأنصار ،

---

(١) مختار الصحاح ص ٣٢٩(شعر).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ١٢٠٨/٢، معجم الصواب اللغوي ٦٩٩/١.

(٣) التحرير والتنوير ٤٤/٣.

(٤) النمرة : ثوب مخطط من ثياب الأعراب، وجمعها نمار كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض. النهاية في غريب الحديث ١١٧/٥(نمر).

فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : "سبقك بها عكاشة"(١).

هكذا عالج النبي الموقف بأدب بالغ وحكمة واقتدار على إدارة الحوار فهذا الرجل لا يخلو حاله من أحد أمرين : إما أن لا يكون مستحقا لهذه المكانة ولم يقل له النبى ﷺ: "لست منهم" حتى لا يقع في حرج بالغ، وربما ييأس من النجاة، وإما أن يكون منهم لكن النبى ﷺ أراد أن يغلق هذا الباب على من لا يستحق، فأغلق الباب بطريقة غاية في اللطف دون أن يجرح مشاعر هذا الرجل ، قال القاضي عياض: "قيل: إن السائل للنبى ﷺ أن يدعو له أن يكون منهم بعد عكاشة لم يكن عند النبى ﷺ ممن يستحق ذلك، ولا من أهل تلك الدرجة والصفة الموصوفة كما كان عكاشة، وقيل: بل كان منافقا فأجابه النبى ﷺ بما كان عليه من حسن العشرة وجميل الصحبة بكلام محتمل ولفظ مشترك، فهو من باب المعاريض الجائزة، ولم ير التصريح له بأنك لست منهم ولا مستحقا لتلك المنزلة"(٢).

قلت: القول بأنه كان منافقا يرد عليه قول أبي هريرة ﷺ في الرواية المذكورة: "ثم قام رجل من الأنصار"، وعلى كل الأحوال ففي الحديث أدب نبوي كريم في التلطف مع الخلق ورعاية مشاعرهم.

ومن رعايته لمشاعر زوجه ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي ، انقلب فوضع رداءه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويدا ، وانتعل رويدا ، وفتح الباب فخرج ، ثم أجافه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب : يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب (٦١٧٦/٢٣٩٦/٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢١٦/١٩٧/١).
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦٠٤/١.

رويدا ، فجعلت درعي(١) في رأسي ، واختمرت ، وتقنعت إزاري(٢) ، ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع فقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر(٣) فأحضرت ، فسبقته فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل ، فقال : " ما لك يا عائش ، حَشْيا(٤) رابية؟" قالت : قلت: لا شيء ، قال : "لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير" قالت : قلت : يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ، فأخبرته ، قال : "فأنت السواد الذي رأيت أمامي ؟" قلت : نعم ، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ، ثم قال : "أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟" قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله ، نعم ، قال : "فإن جبريل أتاني حين رأيت ، فناداني ، فأخفاه منك ، فأجبته ، فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك ، وظننت أن قد رقدت ، فكرهت أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشي ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم"(٥).

هذه صورة من عمق البيت النبوي الكريم تحكيها أمنا عائشة رضي الله عنها في ليلة من الليالي التي بات عندها رسول الله ﷺ، وجاءه جبريل ليخبره أن الله يأمره أن يأتي أهل البقيع ليستغفر لهم، وظنت أنه ذهب إلى إحدى نسائه، فخرجت خلفه، حتى أتى أهل البقيع ودعا لهم، ثم رجع إلى البيت فسبقته، والشاهد في هذه القصة أمران:

---

(١) تعني لبست ثيابها، والدرع : قميص المرأة. مختار الصحاح ص ٢٠٣ (درع).

(٢) قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم ٧/ ٤٣ : "هكذا هو في الأصول إزاري بغير باء في أوله وكأنه بمعنى لبست إزاري فلهذا عدي بنفسه"، وقال الشيخ الإثيوبي في البحر المحيط الثجاج ١٨/ ٦١٥ : "أي جعلت إزاري قناعا، والظاهر أنها تلففت به فوق خمارها".

قلت : هذا أظهر من كلام الإمام النووي، لأنها أرادت ألا تعرف، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ لها: "فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟". والله أعلم.

(٣) تعني عدا ، والحُضر بالضم : العدو، وأحضر يحضر فهو محضر إذا عدا. النهاية ٣٩٨/١، (حضر).

(٤) بفتح الحاء وسكون الشين مقصور مثل سكري أي أصاب الربو حشاك. مشارق الأنوار ٢١٤/١.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٩٧٤/٦٦٩/٢).

الأول: سؤاله عنها واطمئنانه على صحتها لما رآها تنهج بسب جريها حتى تسبقه إلى البيت فلا يفطن لخروجها، مع تدليله لها مصغرا اسمها بقوله: "مالك يا عائش".

الثاني: أن النبي ﷺ لما أراد الخروج من البيت تلطف في تصرفه وتحرك بهدوء حتى لا تستيقظ من نومها فتبقى وحدها ويقع في نفسها خوف ووحشة، فعل ذلك رعاية لمشاعرها، تأمل قوله ﷺ: "وخشيت أن تستوحشي" .

ولم تكن رعايته ﷺ لمشاعر الآخرين أمرا ثانويا، بل كان أمرا جوهريا أولاه عناية فائقة، دليل هذا ما أخرجه البخاري من حديث أبي قتادة ﷺ أن النبي ﷺ قال : "إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه"(١).

إنه ﷺ يقصر الصلاة –مع أنها قرة عينه– مخالفا رغبته في تطويلها، وذلك رعاية لمشاعر الأم التي يبكي ولدها، فهي بين انشغال بصلاتها وشفقة على وليدها، ونلحظ هنا أنه ﷺ لم يكتف بفعل هذا، لكنه أخبر أمته بذلك لينقل إليهم هذه المعاني النبيلة ، وليشعروا بمعاناة الآخرين، ويقدروا أحوالهم فلا يشقوا عليهم، فهو ﷺ يعلم أمته هذا الأدب الرفيع بقوله وفعله معا.

وقد حرص النبي ﷺ على تعليم أمته هذا الأدب الرفيع في عدة أحاديث منها قوله ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: "إذا كنتم ثلاثة ، فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما ، فإن ذلك يحزنه"(٢).

في هذا الحديث أنه لا ينبغي لرجلين أن يتحدثا سرا إذا كان معهما شخص ثالث، وعلل النبي ﷺ ذلك بأن هذا التصرف قد يؤدي إلى حزنه وكسر قلبه، فقد تتعلق نفسه بمعرفة ما يتحدثان به لأن الإنسان شغوف بمعرفة ما غيب عنه ، وقد يظن أنهما

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (١/٢٥٠/٦٧٥).
(٢) أخرج البخاري في كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة (٥/٢٣١٩/٥٩٣٢)، ومسلم –واللفظ له– في كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه (٤/١٧١٨/٢١٨٤).

يتحدثان عنه بسوء أو يدبران له شرا، وقطعا لدابر الفتنة، وصيانة لهذا الرجل من أن ينكسر قلبه نهى النبي ﷺ عن هذا التصرف، ولأجل هذا التعليل يدخل في النهي أيضا كلام الجماعة دون الواحد، قال الإمام المازري: "وكذلك الجماعة عندنا لا يتناجون دون الواحد لوجود العلة في ذلك، لأنه قد يقع في نفسه أن الحديث عنه بما يكره وأنه لم يروه أهلا لإطلاعه على ما هم عليه، ويجوز إذا شاركه جماعة لأنه يزول الحزن عنه بالمشاركة"(١)، وقال الإمام القرطبي: "يستوي في ذلك كل الأعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحد، ولا عشرة، ولا ألف مثلا؛ لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن، وأوقع، فيكون بالمنع أولى، وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنه أول عدد يتأتى فيه ذلك المعنى"(٢).

ونقل القاضي عياض عن بعض العلماء أن الحديث خاص بالسفر، وفي المواضع التى لا يأمن الرجل فيها صاحبه، ولا يعرفه ولا يثق به ويخشى غدره، كما نقل أيضا عن بعضهم أن هذا كان في أول الإسلام، فلما فشى الإسلام وأمن الناس سقط هذا الحكم(٣)، ويكفى في إبطال هذين القولين التعليل، فهو دال على بقاء الحكم، وأنه على عمومه،قال ابن الجوزي: "وإنما يحزنه هذا لأحد ثلاثة أشياء: إما لأنه يرى إكرام المناجى دونه، أو يخاف أن يعاب ببعض فعله، أو يحذر دسيس غائلة في حقه، وقد كان بعض علماء السلف يقول: هذا مخصوص بالسفر، والمواضع التي لا يأمن فيها الإنسان على نفسه، وهذا التخصيص لا وجه له لوجهين: أحدهما: أن الكلام مطلق، والثاني: أنه لو كان كما قال لقال: "فإن ذلك يخوفه" فلما قال: " يحزنه " كان ما ذكرنا أليق"(٤).

وفي هذا المعنى أيضا قال النبي ﷺ: "لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس

(١) المعلم بفوائد مسلم١٥٤/٣.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥٢٥/٥.
(٣) إكمال المعلم ٨٠/٧.
(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢٩٩/١.

فيه"(١)، ولا شك أن حرمان إنسان فقير أو ضعيف من مكان سبق إليه، وتقديم غيره عليه لمنصب أو جاه مما يكسر قلبه ويشعره بالنقص، لكنه لو فعل ذلك عن طيب نفس إكراما لعالم أو صاحب فضل فلا شيء فيه، وهو غير داخل في الحديث، لأنه هو الذي أقام نفسه، ولم يقمه غيره، ويشهد لهذا أن رواية أخرى للحديث المذكور عند البخاري جاءت بلفظ "نهى أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر"(٢).

ومن هذا الباب أيضا قوله ﷺ : " إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه معه ، فليناوله أكلة أو أكلتين ، أو لقمة أو لقمتين ، فإنه ولي حره وعلاجه"(٣).

ففي هذا الهدي النبوي الكريم تعليم للسيد ألا يستأثر بالطعام دون عبده أو خادمه لأنه قام على إعداده وتعلقت نفسه به فعليه أن يجلسه معه، وإن لم تطب نفسه بذلك أو كان الطعام قليلا فليعطه منه ولو شيئا يسيرا يرد ما في نفسه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه (٥/٢٣١٣/٥٩١٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه (٤/١٧١٤/٢١٧٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [المجادلة: ١١] (٥/٢٣١٣/٥٩١٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الأكل مع الخادم (٥/٢٠٧٨/٥١٤٤) ، ومسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل (٣/١٢٨٤/١٦٦٣).

المبحث الثالث : مراعاته لأحوال الناس وظروفهم

كان النبي ﷺ أحسن الناس للناس يحرص على نجاتهم، ويبذل الخير لهم مراعيا ظروفهم وأحوالهم، أخرج الشيخان من حديث أبي وائل شقيق بن سلمة قال : كان عبد الله –يعني ابن مسعود– يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال : أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكم ، وإني أتخولكم بالموعظة ، كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها ، مخافة السآمة علينا"(١).

فعلى الرغم من أنه لا يتصور أن يمل الصحابة من نصح رسول الله ﷺ وتوجيهه لهم إلا أنه لم يكن يبالغ في الإكثار من وعظهم خشية أن يقع منهم الملل فتأتي الموعظة بضد المقصود منها، وقد فقه عبد الله بن مسعود ﷺ هذا المعنى عن رسول الله ﷺ فكان يعظ أصحابه مرة كل أسبوع، قال ابن عبد البر: "وأهل العلم يكرهون من المواعظ ما ينسي بعضه بعضا لطوله، ويستحبون من ذلك ما وقف عليه السامع الموعوظ فاعتبره بعد حفظه له، وذلك لا يكون إلا مع القلة(٢).

وقد ضرب أستاذنا الدكتور/ موسى شاهين مثلا جميلا لذلك فقال: "إن النفوس تصدأ بالإهمال كما تصدأ المعادن، وجلاؤها الموعظة وذكر الله تعالى، وكثرة جليها وحكها يصيبها بالضعف والتآكل، وكذلك القلوب دوام وعظها يصيبها بالسآمة والملل، والحكمة تقتضي الأخذ بجزء من الجلي وجزء من الراحة، والفضيلة دائما وسط بين طرفين، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن والكرم وسط بين الإسراف والتقتير، من هنا كان الرسول ﷺ يتعاهد أصحابه بالموعظة أياما ويتركهم لمهامهم ومعايشهم أياما فبذلك يتحقق هدف التذكير مع دوام الحرص والشوق إليه(٣)".

وقد تحتاج فئة من الناس إلى تعامل خاص كالأطفال والنساء والأعراب وأصحاب الأعذار، وهنا نجد السنة النبوية حافلة بنماذج راقية في تعامل النبي ﷺ مع هذه الفئات

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة (٧٠/٣٩/١)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد في الموعظة (٢٨٢١/٢١٧٢/٤).

(٢) الاستذكار ٣٦٤/٢.

(٣) فتح المنعم ٤٣٥/١٠.

من ذلك ما أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: : " كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا " ، فأرسلني يوما لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أنأذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك ، فقال : " يا أنيس أذهبت حيث أمرتك ؟ " قلت : نعم ، أنا أذهب يا رسول الله(١).

قد يعجب البعض من رد أنس بن مالك ﷺ على رسول الله ﷺ ، ورفضه بلسانه تنفيذ أمر رسول الله ﷺ لكن هذا العجب يزول حين نعلم أن أنسا رضي الله عنه كان صبيا صغيرا عمره عشر سنوات حين قدم النبي ﷺ إلى المدينة وشرف بخدمته ﷺ(٢) ، وقد راعى النبي ﷺ صغر سنه فلم يوبخه أو يعنفه بل عامله بلطف، وداعبه حتى انقاد لما طلبه منه، لم يكن هذا موقفا عابرا، بل كان طبعا في سيدنا رسول الله ﷺ كما حكاه أنس ﷺ قال معقبا على هذا الموقف: "والله لقد خدمته تسع سنين ، ما علمته قال لشيء صنعته : لم فعلت كذا وكذا ؟ أو لشيء تركته : هلا فعلت كذا وكذا".

وبعض الناس في خلقه شدة أو شراسة، وهذا يحتاج إلى مداراة وتلطف، وليس المقصود هنا مداهنته وإقراره على الباطل بل التلطف في المعاملة، وبذل المعروف له وهذا ضرب من حسن الخلق الذي امتاز به رسول الله ﷺ وله في السنة النبوية شواهد كثيرة منها ما أخرجه الشيخان من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنهما قال: قدمت على النبي ﷺ أَقْبِيَة(٣) ، فقال لي أبي مخرمة : انطلق بنا إليه ، عسى أن يعطينا

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا (٤/١٨٠٥/٢٣١٠).

(٢) أخرج البخاري في كتاب النكاح، باب : الوليمة حق (٥/١٩٨٣/٤٨٧١) عن أنس بن مالك ﷺ : أنه كان ابن عشر سنين ، مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكان أمهاتي يواظبنني على خدمة النبي ﷺ فخدمته عشر سنين ، وتوفي النبي ﷺوأنا ابن عشرين سنة .... الحديث.

(٣) جمع قباء بفتح القاف : ثوب ضيق من ثياب العجم يضم إحدى طرفيه على الآخر. غريب الحديث للخطابي ١٣٠/٣ ، مشارق الأنوار ١٧٠/٢ ، وفي المعجم العربي لأسماء الملابس ص ٣٧٩ أنه يشبه ما يعرف الآن بالقفطان.

قلت : الأظهر أنه يشبه ما يعرف الآن بالبالطو وذلك لأنها ضيقة والقفطان ليس كذلك ، ولما جاء في هذا الحديث أن هذه الأقبية كانت مزررة بالذهب أي فيها أزرار من الذهب، وهذا كان قبل تحريم استعمال الذهب على الرجال كما أفاده الحافظ في الفتح ٣١٥/١٠.

منها شيئا ، فقام أبي على الباب ، فتكلم ، فعرف النبي ﷺ صوته ، فخرج النبي ﷺ ومعه قباء وهو يريه محاسنه ، وهو يقول : "خبأت هذا لك خبأت ، هذا لك"(١).

ومخرمة بن نوفل كان من مسلمة الفتح الذين يتألفهم رسول الله ﷺ(٢) ، وكان في خلقه شدة(٣)، فلاطفه النبي ﷺ وعامله معاملة حسنة شعر بها مخرمة حتى قال لابنه المسور كما في رواية أخرى: "إنه ليس بجبار"(٤)، علم النبي ﷺ حاجته بمجرد أن سمع صوته فجهزها وقدمها له مبتهجا وهو يقول: " خبأت هذا لك خبأت ، هذا لك"، وهذه الطريقة أشعرته بمزيد اهتمام حتى قال كما جاء في رواية أخرى: "رضي مخرمة"(٥).

أما عن لطفه في معاملة أهله فمثال لا نظير له، واللافت للنظر هنا أن هذا اللطف في معاملة الزوجة صدر من رجل نشأ في مجتمع تفنن في ظلم المرأة وقهرها، ولم تكن لها حقوق إنما كانت تورث كما يورث المتاع، حتى جاء النبي ﷺ بهذه الشرعة المطهرة التي وصت بالنساء خيرا وجعلت لهن حقوقا كما أن للرجال حقوقا، قال عمر بن الخطاب ﷺ يصور موقف أهل الجاهلية من المرأة : " كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئا ، فلما جاء الإسلام وذكرهن الله ، رأينا لهن بذلك علينا حقا"(٦).

ومن المشاهد التي ترويها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لتبين لطف النبي ﷺ في معاملة أهله ، ورعايته لظروفهم قولها : " رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه ،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى (٢/٩٤٠/٢٥١٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة (٢/٧٣١/١٠٥٨).

(٢) الإصابة ٦/٤١.

(٣) جاء ذلك من قول أيوب السختياني في رواية لهذا الحديث أخرجها البخاري في كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس (٥/٢٢٧١/٥٧٨١٥٧٨١).

(٤) أخرج هذه الرواية البخاري في كتاب اللباس، باب المزرر بالذهب (٥/٢٢٠١/٥٥٢٤)، وفيها قول المسور: فقال لي : يا بني ادع لي النبي ﷺ ، فأعظمت ذلك ، فقلت : أدعو لك رسول الله ﷺ؟! فقال : يا بني ، إنه ليس بجبار... الحديث.

(٥)أخرج هذه الرواية البخاري في كتاب الهبة، باب : كيف يقبض العبد والمتاع (٢/٩١٨/٢٤٥٩) ، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة (٢/٧٣١/١٠٥٨).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس والبسط (٥/٢١٩٧/٥٥٠٥).

وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا التي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن ، الحريصة على اللهو"(١).

هكذا لم يشغله ما كان له من جلالة النبوة ، وما يتطلبه منصبه من سياسة رعيته وتدبير شئونها من أن يعطي زوجته التي كانت صغيرة السن حظها من اللهو حتى تشبع حاجتها، وتكون هي التي تنصرف برغبتها، وليس هو الذي يصرفها.

ولا يقولن متقول : إنما فعل ذلك مع زوجته الصغيرة الجميلة لأن هذا اللطف في المعاملة كانت تلمسه كل واحدة من زوجاته، يشهد لهذا أنهن كن يراجعنه الكلام، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، قال عمر بن الخطاب ﷺ: "كنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار ، فَصَخِبْت(٢) على امرأتي فراجعتني(٣) ، فأنكرت أن تراجعني ، قالت : ولم تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ، فأفزعني ذلك وقلت لها : قد خاب من فعل ذلك منهن ، ثم جمعت علي ثيابي ، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها : أي حفصة ، أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل ؟ قالت : نعم ... الحديث"(٤)، وهذا يدل على لطفه في التعامل معهن، وعدم تجبره فلم يكن يحتكم إلى ما له منصب النبوة، ويشهر في وجوههن سيف سلطته، بل كان يتعامل معهن من منطلق إنساني، ويراعي طبيعة المرأة التي إن رضيت عن زوجها كالت له المدح، وإن كرهت منه شيئا كالت القدح، ويعطي لكل واحدة منهن الحق في التعبير عما يجيش في نفسها من تسخط لأمر ربما لم تفهم وجه الحكمة فيه فتخاصمه طيلة النهار، فأي دليل أظهر من هذا على طيب خلقه ﷺ وحسن عشرته لأهله؟!.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل (٤٨٩٤/١٩٩١/٥)، ومسلم في كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (٨٩٢/٦٠٨/٢).

(٢) قال العيني في عمدة القاري ١٨١/٢٠: بفتح الصاد المهملة وكسر الخاء المعجمة من الصخب وهو الصياح.

(٣) أي ردت عليه جواب كلامه كما في عمدة القاري ١٨/١٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها (٤٨٩٥/١٩٩١/٥) ، ومسلم في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء (١٤٧٩/١١١١/٢).

لم تكن هذه المراعاة الدقيقة لظروف الناس وأحوالهم خاصة بنسائه ﷺ، أو يعتني بإبرازها حين يكون في ملإ من الناس كما يفعل كثير ممن يحب التشبع بما لم يعط من جميل الصفات ومحاسن العادات ممن تتوق نفوسهم إلى الرئاسة الزائفة، بل كان ﷺ مطبوعا عليه، فقد أخرج مسلم من حديث المقداد ابن الأسود ، قال : أقبلت أنا وصاحبان لي ، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد ، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحد منهم يقبلنا ، فأتينا النبي ﷺ فانطلق بنا إلى أهله ، فإذا ثلاثة أعنز ، فقال النبي ﷺ: "احتلبوا هذا اللبن بيننا" ، قال : فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه ، ونرفع للنبي ﷺ نصيبه ، قال : فيجيء من الليل فيسلم تسليما لا يوقظ نائما ، ويسمع اليقظان ، قال : ثم يأتي المسجد فيصلي ، ثم يأتي شرابه فيشرب ، فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي ، فقال : محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ، ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجرعة ، فأتيتها فشربتها ، فلما أن وغلت في بطني ، وعلمت أنه ليس إليها سبيل ، قال : ندمني الشيطان ، فقال : ويحك ، ما صنعت أشربت شراب محمد ، فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك فتذهب دنياك وآخرتك ، وعلي شَمْلَة(١) إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي ، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي ، وجعل لا يجيئني النوم ، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت ، قال : فجاء النبي ﷺ، فسلم كما كان يسلم ، ثم أتى المسجد فصلى ، ثم أتى شرابه فكشف عنه ، فلم يجد فيه شيئا ، فرفع رأسه إلى السماء ، فقلت : الآن يدعو علي فأهلك ، فقال : "اللهم ، أطعم من أطعمني ، وأسق من أسقاني" ، قال : فعمدت إلى الشملة فشددتها علي ، وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن ، فأذبحها لرسول الله ﷺ، فإذا هي حافلة ، وإذا هن حُفَّل(٢) كلهن ، فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه ، قال : فحلبت فيه حتى علته رغوة ، فجئت إلى رسول الله ﷺ، فقال :

(١) الشَّمْلة : قماش ذو وبر طويل؛ وهو من نوع القطيفة، تُصنع من مواد مختلفة، بعضها من وبر الجمال. المعجم العربي لأسماء الملابس ص٢٧٥.

(٢) (حُفَّل) بضم الحاء وتشديد الفاء: جمع حافلة وهي التي امتلأ ضرعها باللبن، والمحفلة : الشاة أو البقرة أو الناقة لا يحلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها في ضرعها. النهاية ١/ ٤٠٨، (حفل).

"أشربتم شرابكم الليلة" ، قال : قلت : يا رسول الله ، اشرب ، فشرب ، ثم ناولني ، فقلت : يا رسول الله ، اشرب ، فشرب ، ثم ناولني ، فلما عرفت أن النبي ﷺ قد روي وأصبت دعوته ، ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض ، قال : فقال النبي ﷺ: "إحدى سوآتك(١) يا مقداد" ، فقلت : يا رسول الله ، كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا ، فقال النبي ﷺ: "ما هذه إلا رحمة من الله ، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها" ، قال : فقلت : والذي بعثك بالحق ، ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس(٢).

نلحظ في هذه القصة عدة أمور:

الأول : قبوله ﷺ أن يستضيف هؤلاء الثلاثة في وقت شدة أصابت الناس حتى إنهم لم يجدوا أحدا من الصحابة يقبل أن يضيفهم.

الثاني : قول المقداد ﷺ: "فيسلم تسليما لا يوقظ نائما ، ويسمع اليقظان" فهو ﷺ حريص على ألا يتسبب في إيقاظ النائمين، ولو بإلقاء السلام.

الثالث : لم يتأسف النبي ﷺ حين لم يجد نصيبه من اللبن بعد أن شربه المقداد ﷺ، وهذا من سماحته ﷺ، وطيب نفسه.

الرابع : قوله ﷺ: "أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها" فيه حرصه عليه الصلاة والسلام على أن يحظى أصحابه بما حظي به من اللبن، وهو يدرك حالهم وما أصابهم من الجوع والفاقة.

(١) يعني أن ضحكك إحدى فعلاتك السيئة، وأنك فعلت أمرا سيئا تخفيه. مطالع الأنوار ٢٠٧/١، شرح النووي على مسلم ١٤/ ١٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (٣/١٦٢٥/٢٠٥٥).

المبحث الرابع : سماحته ﷺ ولين جانبه

كان صلوات الله وسلامه عليه رجلا سمحا طيب المعشر ، لا يرد سائلا، ويتسامح في حق نفسه، يقبل من محدثه ولا يحرجه، ولا يحوجه إلى بسط المزيد من الأعذار، فلم يكن ﷺ صلبا إلا في الحق ، ولم يكن ﷺ يغضب لنفسه، إنما كان يغضب إذا انتهكت محارم الله تعالى، وما عرف عنه ﷺ أنه ضرب امرأة ولا عبدا كما يفعل الناس، وهذا كله أثر من آثار الرحمة التي أسكنها الله تعالى قلبه الشريف، قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وجاء في التوراة في وصفه صلوات الله وسلامه عليه: "ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سَخَّاب(١) بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح"(٢).

لقد طبعه الله عز وجل على محاسن الأخلاق وجميل الشيم، وعرف ذلك منه حتى حكاه العدو والصديق، قال أنس بن مالك ﷺ: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي : أف ، ولا : لم صنعت ؟ ولا : ألا صنعت"(٣)، وفي رواية أخرى: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، فما أمرني بأمر فتوانيت عنه ، أو ضيعته ، فلامني ، فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال : "دعوه ، فلو قدر – أو قال : لو قضي – أن يكون كان"(٤)،

(١) السخب: الصياح واختلاط الأصوات يقال بالصاد والسين والصاد أشهر. مشارق الأنوار ٢٠٩/٢.

(٢) جاء ذلك في حديث لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق (٢٠١٨/٧٤٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء (٥٦٩١/٢٢٤٥/٥) ، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا (٢٣٠٩/١٨٠٤/٤).

(٤) أخرجها أحمد في مسنده ٢٣١/٣، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١٧/٧، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٣٥٥/١٥٦/١) ، والبرجلاني في الكرم والجود ص ٣٩ رقم (٢٠)، وأبو نعيم في الحلية ١٧٩/٦ ، والعقيلي في الضعفاء ٣٠٥/٣ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٥/٥٠ من طريق حدثنا جعفر بن برقان ، عن عمران البصري ، عن أنس بن مالك ﷺ ، وهذا إسناد ضعيف عمران البصري هذا اختلف فيه هل هو عمران بن مسلم أم غيره، وعلى كل فهو لم يسمع من أنس ﷺ فالإسناد منقطع قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣٠٤/٦: (سألت أبى عن عمران الذي روى عن أنس قال : "خدمت النبي ﷺ عشرا" روى عنه جعفر بن برقان، فقال :يرون أنه عمران القصير ،ولم يسمع من أنس).
ولها طريقان آخران:

وقالت عائشة رضي الله عنها: " ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادما ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط ، فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله ، فينتقم لله عز وجل"(١).

هكذا كان كان حاله ﷺ أكمل الأحوال حيث جمع بين الرحمة والقوة في آن واحد قال القاضي عياض: «هذا هو الخلق الحسن المحمود، فإنه لو كان يترك ذلك كله فى حق الله تعالى وفى حق غيره كان ضعفا ومهانة، ولو كان ينتقم أيضا لنفسه فى كل شىء لم يكن ثم صبر ولا حلم ولا احتمال، وكان هذا الخلق بطشا وانتقاما، فانتفى عنه الطرفان المذمومان، وبقى وسطها، وخير الأمور أوسطها، وكلا طرفى قصد الأمور ذميم»(٢).

والمواقف الدالة على سماحته ﷺ ولين جانبه تجل عن الحصر منها ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺكان يمكث عند زينب بنت جحش ، ويشرب عندها عسلا ، فتواصيت أنا وحفصة : أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل : إني أجد منك ريح مغافير(٣) ، أكلت مغافير؟ ، فدخل على إحداهما ، فقالت له ذلك ، فقال :

الأول: أخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ٧١٧٩/١٤٥/١٦)، والبيهقي في الشعب (٧٧١٤/٤١١/١٠)، وفي كتاب القضاء والقدر ص٢٠٠، رقم (٢١٢)، والضياء في المختارة (١٨٣٤/٢٠٦/٥) من طريق أبي يعلى الموصلي قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع ، عن عزرة بن ثابت ، عن ثمامة ، عن أنس مالك... بنحوه مختصرا.

وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

الثاني : أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (٤٣/١٧٥/١) –وعنه أبو نعيم في دلائل النبوة ص١٨٣، رقم (١٢٤)– قال أبو الشيخ : حدثنا أحمد بن محمد البزار ، نا الحسن بن حماد الكوفي ، نا محمد بن أبي يزيد الهمداني ، نا عباد المنقري ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أنس بن مالك... بنحوه. وهذا إسناد ضعيف محمد بن أبي يزيد الهمداني وشيخه وشيخ شيخه ثلاثتهم ضعفاء.

فالرواية بمجموع هذه الطرق صحيحة بلا شك، وأصله في الصحيحين كما سبق.

(١) أخرجه بهذا التمام مسلم في كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح (٢٣٢٨/١٨١٤/٤)، وبعضه عند البخاري في عدة مواضع من صحيحة منها في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٣٦٧/١٣٠٦/٣).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٩٢/٧.

(٣) المغافير: جمع مغفار أو مغفور ، وهو مادة صمغية تسيل من شجر العرفط طمعها حلو وريحها قبيحة. غريب الحديث لابن الجوزي، ١٥٩/٢، المعجم الوسيط ص ٦٥٦ (غفر).

" لا ، بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ، ولن أعود له" فنزلت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ [التحريم:١](١).

في هذا الحديث تحكي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مكيدة دبرتها مع بعض زوجات النبي ﷺ لمنعه من البقاء عند أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أكثر من المعتاد، وذلك بادعاء أن رائحة فمه غير طيبة بسبب ما كان يشربه عندها، وأنه صمغ كريه الرائحة وليس عسلا، ولأن النبي ﷺ كان أحرص ما يكون على طيب رائحته(٢) قرر أن لا يشرب من هذا العسل،وحرمه على نفسه ، وهنا نلمس سماحته ﷺ وطيب خلقه فلم يدخل في جدال معهن في حقيقة ما شرب –ولا شك أنه أعلم بما شرب– وطابت نفسه أن يتنازل عن حق من حقوقه لإرضائهن حتى عاتبه الحق سبحانه وتعالى فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ [التحريم: ١].

ومنها ما رواه سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : استأذن عمر بن الخطاب ﷺ على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه ، عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب ، فأذن له النبي ﷺ فدخل والنبي ﷺ يضحك ، فقال : أضحك الله سنك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ؟ فقال : "عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب" فقال : أنت أحق أن يهبن يا رسول الله ، ثم أقبل عليهن ، فقال : يا عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولم تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن : إنك أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : "إيه يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك"(٣).

لقد لمس النسوة من لطف رسول الله ﷺ وسماحته ما جعلهن يرفعن أصواتهن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، (٥/٢٠١٦/٤٩٦٦)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته (٢/١١٠٠/١٤٧٤).

(٢) أخرج البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣/١٣٠٦/٣٣٦٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ (٤/١٨١٥/٢٣٣٠) من حديث أنس ﷺ " ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ".

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب التبسم والضحك (٥/٢٢٥٩/٥٧٣٥)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ (٤/١٨٦٣/٢٣٩٦).

بحضرته الشريفة دون تحرج، ولم يجرؤن على فعل ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ﷺ، ليس ذلك لعدم توقيرهن لرسول الله ﷺ، حاشا وكلا، إنما لما لمسنه من لطفه وسماحته، ولا يفهم من قول النسوة: "إنك أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ" أن رسول الله ﷺ كان فظا لكن عمر ﷺ كان أفظ منه لأن أفعل هنا ليست على بابها فلا يلزم الاشتراك في الصفة كما في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٤] ، وللشراح أجوبة أخرى لا نطيل بها(١)، ولا يفهم من هذا الحديث القدح في سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، لأن الفظاظة والغلظة هنا إنما تعني الشدة في الحق، وهذا يفهم من رد النبي ﷺ على النسوة بقوله: "إيه يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك"، وقد أحسن ابن هبيرة حين قال تعليقا على هذا الحديث: "في هذا الحديث من الفقه أن المؤمنين قد يكونون مختلفي الأحوال، ففيهم الرفيق وفيهم الشديد، وأن عمر رضي الله عنه كان قويا شديدا في الله عز وجل، وفيه أيضا أن حالة الرفق التي لا تنزل إلى ضعف، فوق حال القوة التي تجاوز إلى عنف؛ لأن حالة رسول الله ﷺ أفضل الحالات"(٢).

قد لا يكون عجيبا أن يتعامل الإنسان بلطف مع أزواجه وأصحابة، لكن أن يمتد هذ اللطف ولين الجانب إلى أعدائه فهذا مما يدعو إلى العجب، وأعجب منه أن يواجه بالقبيح منهم فيرد في أدب وحسن خلق، عن عائشة ، رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا : السام عليكم ، قالت عائشة : ففهمتها فقلت : وعليكم السام واللعنة ، قالت : فقال رسول الله ﷺ: " مهلا يا عائشة ، إن الله يحب الرفق في الأمر كله " فقلت : يا رسول الله ، أولم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله ﷺ : " قد قلت : وعليكم"(٣).

كان اليهود كما هي عادتهم في تحريف الكلم عن مواضعه يحاولون الإيهام بأنهم يسلمون على رسول الله ﷺ وهم في حقيقة الأمر يدعون عليه بالموت، ومع أن النبي ﷺ

(١) مطالع الأنوار ٢٣٨/٥ ، التوضيح ٢١٩/١٩ ، فتح الباري ٤٧/٧، عمدة القاري ١٨١/١٥.
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ٣٣١/١.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (٥٦٧٨/٢٢٤٢/٥)، ومسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم(٢١٦٥/١٧٠٦/٤).

فطن لفعلتهم هذه فإنه لم يوبخهم أو يعاتبهم بل اكتفى بقوله في الرد عليهم: "وعليكم"، فإن كانوا قد دعوا بخير رجع عليهم، وإن كانوا قد دعوا بشر رجع عليهم كذلك، وربما قيلك إن قول النبي ﷺ: "وعليكم" يتضمن دعاؤهم عليه أيضا، والجواب عن ذلك أنه جاء في رواية أخرى أنه ﷺ قال لعائشة : " أولم تسمعي ما قلت ؟ رددت عليهم ، فيستجاب لي فيهم ، ولا يستجاب لهم في"(١).

هكذا كان ﷺ رفيقا بالخلق على اختلاف أصنافهم، وعلم أمته الرفق وحثهم عليه، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : "إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه"(٢).

كان من لطفه ﷺ وطيب عشرته أنه لا يحرج محدثه ، ولا يحوجه إلى تقديم الاعتذارات إذا كان قراره غير صائب، أخرج الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما كان رسول الله ﷺبالطائف ، قال : "إنا قافلون غدا إن شاء الله" فقال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: لا نبرح أو نفتحها ، فقال النبي ﷺ: "فاغدوا على القتال" قال : فغدوا فقاتلوهم قتالا شديدا ، وكثر فيهم الجراحات ، فقال رسول الله ﷺ: "إنا قافلون غدا إن شاء الله" قال : فسكتوا ، فضحك رسول الله ﷺ(٣).

لقد رأى النبي ﷺ أن حصار أهل الطائف قد يطول ويصعب فتحها لتحصنهم فيها، وأنه من الأفضل عن ينصرف عنهم تقليلا للخسائر، ولعلهم يسلمون بلا قتال –وقد حدث هذا بعد ذلك كما سيأتي – لكن بعض المتحمسين من أصحابه رأوا أنه من القصور والضعف أن يتركوا الطائف دون أن يفتحوها، فسمح لهم النبي ﷺ بذلك، لكن أهل الطائف قاتلوا قتالا شديدا فأصيب بعض الصحابة المتحمسين للقتال، وكثرت فيهم الجراحات، فلما عرض عليهم النبي ﷺ الرجوع إلى المدينة، وترك الطائف بلا فتح سكتوا سكوت المقر الذي يستشعر الحرج لتعديل رأيه، فاكتفى النبي ﷺ بالتبسم، ولم يوبخهم أو يعيرهم أنهم غيروا رأيهم بعدما أصابتهم الجراحات، قال ابن هبيرة: "كان ذلك من فقهه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا (٥/٢٢٤٣/٥٦٨٣).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٤/٢٠٠٣/٢٥٩٣).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب التبسم والضحك (٥/٢٢٥٩/٥٧٣٦)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة الطائف (٢/١٤٠٢/١٧٧٨).

ﷺ فإنه لو رحل وهم يظنون أنهم لو قاموا لفتحوها لكان يبقى ذلك في قلوبهم، فوافقهم رسول الله ﷺ إلى أن تبين لهم صواب قوله وخطأ قولهم"(١).

وقد طلب بعضهم من النبي ﷺ أن يدعو عليهم فدعا لهم قائلا: "اللهم اهد ثقيفا"، واستجاب الله دعاء نبيه ﷺ ففي العام التاسع من الهجرة جاء وفد منهم إلى المدينة، ودخلوا في الإسلام وصاروا من جنوده(٢).

ومن سماحة نفسه وطيب معشره أنه لم يكن يرد سائلا، حتى لو طلب منه ما هو محتاج إليه، فعن سهل بن سعد ، قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببُرْدَة(٣) ، فقالت : يا رسول الله ، أكسوك هذه ، فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها فلبسها ، فرآها عليه رجل من الصحابة ، فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذه ، فاكسنيها ، فقال : " نعم " فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه ، قالوا : ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجا إليها ، ثم سألته إياها ، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه ، فقال : رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ، لعلي أكفن فيها(٤).

نلحظ هنا قول الصحابة للرجل: "وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه" إنها سجية في سيدنا رسول الله ﷺ أنه لا يرد سائلا، وقد طابت نفسه صلوات الله وسلامه عليه أن يعطي هذا الرجل ما طلبه رغم أن هذه البردة هدية أهديت إلى شخصه الكريم، وقد جاءته في وقت كان محتاجا إليها فدخل ولبسها، ومع هذا جادت نفسه به فأعطاها للسائل، ولم يوبخه على تصرف يعد سخيفا قد استنكره عليه أصحابه، وعذر الرجل أنه أراد أن يكفن في ثوب قد نال من بركة جسده الشريف، وقد كان له ما أراد ﷺ، فكانت كفنه كما قال سهل بن سعد ﷺ في رواية أخرى عند الإمام البخاري(٥).

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ١٨٤/٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٥٣٧/٢.

(٣) البردة –بضم الباء– كساء مخطط ، وهي قطعة من الصوف كانت تستعمل منذ العصر الجاهلي، تتخذ عباءة بالنهار وغطاء بالليل. مشارق الأنوار ٨٣/١ ، المعجم العربي لأسماء الملابس ص٥٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء (٥٦٨٩/٢٢٤٥/٥).

(٥) أخرجها البخاري في عدة مواضع منها كتاب الجنائز ، باب من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ (١٢١٨/٤٢٩/١).

المبحث الخامس : حفظه ﷺ للجميل

حفظ الجميل، والاعتراف بالفضل لأهله من شيم الكرام وأهل الفضائل، وهو من الأخلاق التي حث عليها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠] فالله تعالى يكافئ عبده على إحسانه بالإحسان مع أن إحسان العبد ناتج عن إحسان الله تعالى إليه، فلولاه ما أحسن، فأولى بالعبد أن يشكر إحسان عباد الله إليه، ورجح بعض المفسرين أن يكون المعنى: "هل جزاء إحسان الله تعالى بما أنعم عليهم في الدنيا إلا الإحسان له بالشكر والقبول"(١)، وعلى كلا التفسيرين فالآية فيها حث على حفظ الجميل، ورده بمثله، ومن شواهده في القرآن قوله تعالى على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام متحدثا عن العزيز الذي تربى في بيته: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف: ٢٣] يعني أن سيده أكرمه في منزله(٢) فلن يقابل هذا الإكرام بالجحود، ويخونه مع زوجه، فهو حافظ لجميله معترف بفضله عليه، ولا جرم أن الله عز وجل قد حبا أنبياءه أكمل الصفات، وأتم الخصال، فهم صفوة الله من خلقه.

والاعتراف بالفضل لأهله من جميل خصاله ﷺ التي أكرمه ربه بها فلم يكن ينسى أو يتناسى معروفا قُدم له وإن كان يسيرا، ولم يطو صفحة أحد نفعه يوما من الدهر حتى ولو كان كافرا، ولأجل هذا كان يثيب على الهدية التي تهدى إليه(٣).

قالت عائشة رضي الله عنها : ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة

(١) تفسير الماتريدي المسمى (تأويلات أهل السنة) ٤٨٢/٩.

(٢) هذا الذي عليه أكثر المفسرين، وقال الزجاج: "أي إن الله ربي تولاني بلطفه، فلا أرتكب ما حرمه". تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ١٦٥/٩.

(٣) أخرج البخاري في كتاب الهبة، باب المكافأة في الهبة (٢٤٤٥/٩١٣/٢) من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : "كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها".

إلا خديجة ، فيقول "إنها كانت ، وكانت ، وكان لي منها ولد"(١).

هكذا ظل النبي ﷺ وفيا لزوجه ولم يطو صفحتها ولم ينس فضلها بعد موتها، وزواجه ممن هي أصغر منها سنا، لم ينس أنها أول من آمن به، وشدت من أزره، وأنها ساعدته بمالها، وقد وردت رواية أخرى تفسر قوله ﷺ: "إنها كانت ، وكانت"، وهي أنه ﷺ قال لعائشة: "قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء"(٢).

ومن جميل فعاله ﷺ التي تؤكد أنه حفظ جميل زوجته خديجة رضي الله عنها، وصان ودها، ولم يطو صفحتها بعد موتها أنه ﷺ كان يذبح الشاة ويوزع على صديقاتها منها ما يكفيهن(٣)، ويبش لزيارة أقاربها، ويسر بها لأن ذلك كان يذكره بها رضي الله

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها (٣٦٠٧/١٣٨٩/٣) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (٢٤٣٥/١٨٨٨/٤).

(٢) أخرجه أحمد ١١٧/٦ ، والطبراني في الكبير (٢٢/١٣/٢٣)، والآجري في الشريعة (١٦٨١/٢١٩٣/٥)، وابن عبد البر في الاستيعاب ١٨٢٤/٤ من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها ، فأحسن الثناء ، قالت : فغرت يوما ، فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق ، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها ، قال : "ما أبدلني ... الحديث.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٤/٩ : إسناده حسن ، وقال ابن كثيرفي البداية والنهاية ١٢٨/٣: إسناده لا بأس به ومجالد روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور.

قلت : أكثر النقاد على تضعيف مجالد بن سعيد فمثله لا يحتج به، وإنما يستأنس بروايته في المناقب ونحوها. ترجمته في تهذيب الكمال ٢١٧/٢٧، ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣ ، تهذيب التهذيب ٣٩/١٠.

وله طريق آخر أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/١٣/٢٣)، والدولابي في الذرية الطاهرة ص ٣١ رقم (١٩) ، وابن عساكر في تاريخه ١٩٤/٣-١٩٥ من طريق مروان بن معاوية الفزاري قال: حدثنا وائل بن داود ، عن عبد الله البهي ، قال : قالت عائشة ... فذكر قصة نحوها.

وهذا إسناد حسن عبد الله البهي من رجال مسلم وثقه ابن معين وابن سعد وابن حبان [تهذيب التهذيب ٨٩/٦، معرفة الرجال لابن معين (رواية ابن محرز) ١٠٣/٢] وقال ابو حاتم كما في علل الحديث لولده عبد الرحمن ٧٧/١: "لا يحتج بحديثه وهو مضطرب الحديث" ، ولا يخفى تشدد أبي حاتم ، وقد تكلم في سماعه من عائشة رضي الله عنها، لكن أثبته الإمام البخاري في التاريخ الكبير ٥٦/٥ ، وأخرج مسلم له في صحيحه (٢٥٣٦/١٩٦٥/٤) حديثا عن عائشة رضي الله عنها.

وعلى كل حال فالحديث بمجموع الطريقين لا ينزل عن رتبة الحديث الحسن.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها(٣٦٠٥/١٣٨٨/٣)، وفي كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان (٥٦٥٨/٢٢٣٧/٥)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (٢٤٣٥/١٨٨٨/٤).

عنها.

أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاح(١) لذلك فقال : "اللهم هالة بنت خويلد"(٢).

حفظ النبي ﷺ جميل أبي بكر، واعترف له بالفضل، ولم يجد غضاضة في ذلك حتى بعدما بنى دولته ، وقويت شوكته، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي ﷺ: " أما صاحبكم فقد غامر " فسلم وقال : إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى علي ، فأقبلت إليك ، فقال : " يغفر الله لك يا أبا بكر " ثلاثا ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر ، فسأل : أثم أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم ، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر ، حتى أشفق أبو بكر ، فجثا على ركبتيه ، فقال : يا رسول الله ، والله أنا كنت أظلم ، مرتين ، فقال النبي ﷺ : "إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت ، وقال أبو بكر: صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي" مرتين ، فما أوذي بعدها(٣).

ولم ينس النبي ﷺ فضل الأنصار ودورهم في نصرته فقال لهم لما وجدوا في أنفسهم من توزيع الغنائم على مسلمة الفتح: " أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك"(٤)، وطيب خواطرهم بقوله: "أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت

(١) هذه رواية مسلم، ومعناها: هش لمجيئها وسر بها لتذكره بها خديجة وأيامها، ورواية البخاري (ارتاع) من الروع وهو الخوف والمراد لازمه وهو التغير، والمعنى: : عظم في نفسه سماع صوتها، واجتمع له، واستعد للقائها وتنبه له. مطالع الأنوار ٢٠٠/٣، شرح النووي على مسلم ٢٠٢/١٥، عمدة القاري ٢٨٢/١٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها(٣٦١٠/١٣٨٩/٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (٢٤٣٧/١٨٨٩/٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذا خليلا" (٣٤٦١/١٣٣٩/٣).

(٤) سبق تخريجه.

وادي الأنصار وشعبها ... اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار "(١).

وأعظم من هذا كله أنه لم ينس فضل المطعم بن عدي مع أنه كان قد مات كافرا، فقال في شأن أسارى بدر: "لو كان المطعم بن عدي حيا ، ثم كلمني في هؤلاء النتنى(٢) لتركتهم له"(٣)، وذلك أن النبي ﷺ لما رجع من الطائف ورده أهلها ردا منكرا دخل مكة في جوار المطعم بن عدي(٤)، كما أن المطعم بن عدي كان ممن شارك في نقض صحيفة المقاطعة التي كتبتها قريش حين قاطعت بني هاشم وحاصروهم في شعب أبي طالب(٥)، فلم ينس له النبي ﷺ هذا الجميل، وود لو كان المطعم حيا حتى يكافأه على صنيعه هذا بأن يهب له المشركين الذين أسرهم المسلمون في غزوة بدر.

وقد حث النبي ﷺ أمته على هذا الخلق الرفيع فجعل حفظ الجميل والاعتراف بفضل الغير من شكر الله عز وجل، وأن من تجرد من هذه الخلة الحسنة فلن يكون شاكرا لله عز وجل، قال ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"(٦).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) جمع نَتِن كزَمِن وزَمْنَى سماهم نتنى لكفرهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] النهاية ١٣/٥، (نتن).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس (٢٩٧٠/١١٤٣/٣).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣٨١/١.

(٥) السيرة والمغازي لابن إسحاق ص ١٦٢، ١٦٥.

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في شكر المعروف (٤٨١١/٢٥٥/٤) والترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (١٩٥٤/٣٣٩/٤)، وأحمد ٢٥٨/٢، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢ والطيالسي (٢٦١٣/٢٣٢/٤) ، والبخاري في الأدب المفرد ص ٨٥، رقم (٢١٨)، والبزار (٩٥٨٧/٦٥/١٧)، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ص ٢٨١، وفي اصطناع المعروف رقم (٧٢)، ص ١٠٦، رقم (١٣٠)،والطبري في تهذيب الآثار (١١٤/٧٢/١ – ١١٦)، وابن حبان (الإحسان ٣٤٠٧/١٩٨/٨) ، وأبو نعيم في الحلية ٣٨٩/٨، وأبو الشيخ في أمثال الحديث ص١٤٧، رقم (١١٠)، وابن بشران في الأمالي (٢٦٤/١٢٤/١)، والبيهقي في سننه الكبرى (١١٨١٢/١٨٢/٦)، وفي شعب الإيمان (٩١١٧/٥١٦/٦)، وفي الآداب ص٧٨، رقم (١٩٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (٨٢٩/٣٥/٢) من طريق الربيع بن مسلم ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ به.

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

قال الإمام الخطابي: هذا الكلام يتأول على وجهين أحدهما: أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه، والوجه الاخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر(١).

واللافت للنظر هنا أن النبي ﷺ عبر بكلمة "الناس" التي تشمل المسلم وغير المسلم مما يؤكد أن حفظ الجميل، وشكر المعروف ليس قاصرا على المسلمين بل يتسع ليشمل غيرهم، وقد طبق النبي ﷺ ذلك عمليا كما سبق في كلامه ﷺ عن المطعم بن عدي.

وقال ﷺ أيضا : " من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه ، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه(٢).

وفي هذا الحديث إلحاح واضح على الاجتهاد في الرد على المعروف بمثله، حتى

---

(١) معالم السنن ١١٣/٤.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله (١٦٧٢/١٣٨/٢)، في كتاب الأدب، باب الرجل يستعيذ من الرجل (٥١٠٩/٣٢٨/٤)، والنسائي في الصغرى، في كتاب الزكاة ، باب من سأل بالله (٢٥٦٧/٨٢/٥)، وفي الكبرى في كتاب الزكاة ، باب من سأل بالله (٢٣٥٩/٤٣/٢)، وأحمد (٥٣٦٥/٦٨/٢)، (٥٧٠٣/٩٥/٢)، وعبد بن حميد [المنتخب ص ٢٥٦، رقم(٨٠٦)]، والطيالسي (٢٠٠٧/٤١١/٣)، والروياني (١٤١٩/٤١٣/٢)، والبخاري في الأدب المفرد ص ٨٥ رقم (٢١٦) ، والطبري في تهذيب الآثار(مسند عمر بن الخطاب ﷺ ٦٨/١ -٦٩]، وابن حبان (الإحسان ٣٤٠٨/١٩٩/٨)، والخرائطي في فضيلة الشكر ص ٦٣ رقم (٨٥)، والطبراني في الكبير (١٣٤٦٥/٣٩٧/١٢، ١٣٤٦٦)، وابن الأعرابي في معجمه (٣٧٦/٢١٣/١)، والحاكم (١٥٠٢/٥٧٢/١)، (٢٣٦٩/٧٣/٢)، وأبو نعيم في الحلية ٥٦/٩، والبيهقي في الكبرى (٧٦٧٩/١٩٩/٤)، والشعب (٣٥٣٨/٢٧٧/٣)، (٩١١٥/٥١٦/٦)، والآداب ص ٧٩، رقم (١٩٧)، والقضاعي في مسند الشهاب (٤٢١/٢٦٠/١) من عدة طرق عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر مرفوعا.

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه للخلاف الذي بين أصحاب الأعمش فيه ".

ولم يتعقبه الإمام الذهبي، وصحح إسناده الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١٧٠/١، وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٣٦/٥، ٢٢٤/٥، ٣٣٨/٥: إسناده صحيح.

قلت: الأعمش مدلس وقد عنعن، ولم يصرح في شيء من هذه الطرق بالسماع، لكنه توبع عليه، والخلاف الذي أشار إليه الحاكم أورده الدارقطني في العلل ٣٧٤/١٢ وقال: "والصحيح: عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر".

وللحديث طرق أخرى وشواهد لا يناسب المقام بسط القول فيها.

ولو بدعاء أو كلمة طيبة، ومن رد الجميل الإشادة بصاحبه، وذكره بجميله ليشكر "فتسجيل الفضائل والتنويه بها رد لبعض جميل صاحبها، وحث وترغيب للاقتداء به، ومعرفة قدره، ومن هنا عقد علماء الحديث كتابا لفضائل الصحابة، ومن هنا أثنى ﷺ على أصحابه وذكر مآثر لكثير منهم، ورفع من قدر أعمالهم وجهادهم"(١).

ولا ينبغي أن يستقل المرء كلمة يشكر بها من صنع إليه معروفا فإن المهاجرين لما تحرجوا من كثرة ما بذله الأنصار لهم وقالوا للنبي ﷺ: "لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله"، أجابهم النبي ﷺ بقوله : "لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم"(٢).

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٢٨٢/٩.

(٢) أجرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والورع، باب ٤٤، (٢٤٨٧/٦٥٣/٤)، وأحمد (١٣٩٧/٢٠٠/٣) ، (١٣١٤٣/٢٠٤/٣ ، ١٣١٤٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٣١٠/٣٢١/٥) وفي كتاب الأدب ص٢٥٣، رقم (٢٣٢) ، وحنبل بن إسحاق في جزئه ص ٩٥، رقم (٥٦)، وابن شبة في أخبار المدينة (٨٥٤/٢٦٦/١)، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٧٣/٤١٠/٦) ، (٣٧٨٠/٤١٥/٦)، والطبري في تهذيب الآثار(مسند عمر بن الخطاب ﷺ ١١٣/٧١/١)، والخرائطي في فضيلة الشكر ص ٦٥ رقم (٩٠)، وفي مكارم الأخلاق ص١٩٠، رقم (٥٧٤)، والبيهقي في سننه الكبير (١١٨١٤/١٨٣/٦)، وفي الشعب (٩١٠٦/٥١٣/٦)، والكلاباذي في بحر الفوائد ٣٣٢/١، وشهدة بنت أحمد في مشيختها ص١٢١، رقم (٥٩)، والضياء في المختارة (١٩٣٠/٢٩٠/٥) من عدة طرق عن حميد الطويل عن أنس بن مالك ﷺ.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الخطيب البغدادي: حديث صحيح، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٥٦٥/٤: هذا حديث ثلاثي الإسناد على شرط الصحيحين، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة ٤٧٥/٦: هذا إسناد رجاله ثقات.

وله طرق أخرى عن أنس ﷺ لا يتسع المقام لإيرادها.

المبحث السادس : تواضعه ﷺ للضعفاء

بعث النبي ﷺ في وقت كان العالم يموج بوثنية طوت في أحشائها طبقية بغيضة، لم يكن ذلك قاصرا على شبه الجزيرة العربية، بل شمل العالم كله بما في ذلك الحضارات التي كان موجودة في ذلك الوقت كالدولة الفارسية والدولة الرومانية، حيث كان الفقراء والضعفاء والعبيد يعاملون بامتهان، وينالهم من صنوف الأذي ما يعجز القلم عن تصويره، يكفينا أن نذكر هنا أن النبلاء من الرومان كانوا يتخذون من مشاهدة مصارعة العبيد لبعضهم البعض، أو مصارعتهم للحيوانات المفترسة وسيلة للتسلية والمرح، والتي كانت تنتهي في الغالب بقتل أحد العبيد أو بالتهام هذا الحيوان المفترس لذلك العبد البائس، يتسلون بهذا دون مراعاة لروح هذا الإنسان الذي جعلوا منها مادة للعبث والمرح، ومعاملة الرومان للعبيد إحدى مخازي الجنس البشري(١).

أما الهند فقد عد الهنادك من أهلها كل من خرج عنهم من الأمم والناس أنجاسا مناكيد، فإن لمسهم لامس من غيرهم، أو صحافهم، أو مس أجسامهم رأوا أنهم قد تنجسوا، ووجب عليهم أن يغتسلوا؛ لأن من سواهم رجس يجب أن يتطهروا منه، وقسم الهنادك أنفسهم أقساما ووزعوا بين هذه الأقسام حظوظا متفاوتة من الشرف، فرفعوا بعضهم على بعض درجات، لا في الفضائل، والأخلاق، بل في أمور المعيشة، وشؤون الحياة، وأحكام الحكومة. فالشودر (وهم الطبقة السفلى منهم) يعدون أنجاسا، وعبيدا، وخداما، وهم أصحاب المهن الحقيرة، ويرون أنهم لاحظ لهم في الدين أيضا(٢)،"ولم يعرف في تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي أشد قسوة وأعظم فصلاً بين طبقة وطبقة وأشد استهانة بشرف الإنسان من النظام الذي اعترفت به الهند دينياً ومدنياً"(٣)، والتاريخ الإنساني حافل بضروب من مثل هذه المخازي تندى لها جبين الإنسانية.

ولم تكن شبه الجزيرة العربية بمنأى عن هذه الطبقية البغيضة، ففيها العبيد والخدم

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر : التاريخ الروماني ص ٣٢١ ، مجتمعات تحت حصار الطغيان ص٧٤.

(٢) الرسالة المحمدية ص١٧٣.

(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٥١.

الذين يقومون على خدمة أسيادهم من طبقة أشراف مكة الذين أثروا من خلال العمل بالتجارة في رحلتي الشتاء والصيف، حيث كانوا يعاملونهم بازدراء، وعرف عنهم التفاخر بالأحساب والأنساب، فلا مكان عندهم لعبد أو غير حسيب إلا الخدمة والمذلة، ولكل قبيلة وزنها الاجتماعي الذي لا يسمح لها بتجاوزه، وقد وصف جعفر بن أبي طالب حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ بقوله: " كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف"(١).

بعث النبي ﷺ ليضع حدا لهذه الطبقية البغيضة، فعلم البشرية أن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وتلا عليهم قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣] ، وعلمهم أن مضع نظر الله تعالى للعبد قلبه وعمله، وليس صورته أو ماله أو طبقته الاجتماعية(٢)، وعلمهم وهو العربي الشريف أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولم يكن لأشراف مكة أن يقبلوا بهذه الدعوة التي تسوي بينهم وبين عبيدهم فقلبوا لها ظهر المجن، ورموها عن قوس واحدة وطلبوا من النبي ﷺ أن يطرد هؤلاء العبيد والضعفاء من حوله(٣) فنهاه الله عز وجل بقوله: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة النبوية (سيرة ابن هشام ٣٣٦/١) ومن طريقه أخرجه أحمد (١٧٤٠/٢٠٢/١) ، (٢٢٥٥١/٢٩١/٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٢٦٠/١٣/٤)، وأبو نعيم في الحلية ١١٥/١، وفي دلائل النبوة ص٢٤٦، رقم (١٩٤). قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول ﷺ ... فذكرت قصة هجرتهم إلى الحبشة.
قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند ٣٥٤/٢ : إسناده صحيح.
قلت: إسناده حسن لأجل محمد بن إسحاق، وقد زال ما يخشى من تدليسه بتصريحه بالسماع.

(٢) أخرج مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم (٢٥٦٤/١٩٨٧/٤) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".

(٣) أخرج مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ (٢٤١٣/١٨٧٨/٤) أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: "اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا" فنزلت هذه الآية.

شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] ·

ومضى النبي ﷺ في دعوته غير آبه لهؤلاء المستكبرين واستطاع بعون الله تعالى أن ينشر الحرية والعدالة والمساواة، وفي خطبة حجة الوداع – التي صاغ فيها الخطوط العريضة التي يتوجب على أمته التمسك بها – وضع هذه المقاييس الجاهلية تحت قدميه قائلا: "يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر ، إلا بالتقوى"(١).

لقد نسف النبي ﷺ مقاييس الجاهلية بقوله وفعله عاش كما يعيش فقراء المسلمين فكان نعم الأسوة لهم، حتى بعدما فتح الله عليه الفتوح وكثرت أموال المسلمين لم يحرص على جمع الأموال واكتنازها لنفسه كما هي عادة الرؤساء والقادة، وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه أن يعلق قلبه الشريف بشيء من زخرف الحياة الدنيا، أو يتلطخ بشيء من محبة زينتها.

جاءت له الدنيا فأعرض زاهدا ... يبغي من الأخرى المكان الأرفعا
ما جر أثواب الحرير ولا مشى ... بالتاج من فوق الجبين مرصعا

---

(١) أخرجه عبد الله بن المبارك في مسنده ص٤٦ ، رقم (٢٣٩)، وأحمد (٢٣٥٣٦/٤١١/٥)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده (بغية الباحث ٥١/١٩٣/١) ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٣٠٠/٣١٧٢/٦)، والمحاملي في أماليه ص١٣٧ ، رقم(٢٥٧) ، وابن عساكر في معجم شيوخه (١٠٤٥/٨٣٤/٢)، من طريق سعيد الجريري ، عن أبي نضرة ، حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق .... فذكره.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٦/٣: رجاله رجال الصحيح

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة ٢١٨/١: هذا إسناد رجاله ثقات، غير سعيد بن إياس الجريري، فإنه اختلط بآخره، ولم يعلم حال عبد الوهاب بن عطاء، هل روى عنه قبل الاختلاط أو بعده، فيتوقف في حديثه.

قلت : قد رواه عن سعيد الجريري إسماعيل بن علية عند أحمد والمحاملي، وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط كما في تهذيب التهذيب ٦/٤،

وقد روي الحديث من طريق آخر ، وفيه أن الصحابي هو أبو سعيد الخدري:

أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧٤٩/٨٦/٥)، أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه ص١٠٩، رقم (٢٥١) من طريق سهل بن عثمان عن أبي المنذر الوراق ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ ... فذكر.

وأبو المنذر الوراق هو يوسف بن عطية الباهلي متروك كما في التقريب ص٦١١، وعلى كل فجهالة الصحابي لا تضر والحديث صحيح.

من ألبس الدنيا السعادة حلة ... فضفاضة، لبس القميص مرقعا
وهو الذي لو شاء نالت كفه ... كل الذي فوق البسيطة أجمعا(١)

وكان نعم العون للضعفاء والمحتاجين، فعن أنس بن مالك ﷺ: "إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة ، لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت"(٢)، وعنه أيضا أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله إن لي إليك حاجة ، فقال : "يا أم فلان انظري أي السكك شئت ، حتى أقضي لك حاجتك" فخلا معها في بعض الطرق ، حتى فرغت من حاجتها(٣).

لم يكن ذلك من التصنع الزائف الذي يتعاطاه بعض القادة لخديعة الأتباع بإظهار التواضع، إنما كان سجية فيه صلوات الله تعالى وسلامه عليه، ولعل ما اختاره الله تعالى له من نشأته يتيما فقيرا جعله أكثر إحساسا بمعاناة الآخرين، ومما يدلك على كون هذا التواضع وخفض الجناح للضعفاء سجية فيه ﷺ قصة المرأة السوداء التي كانت تقم المسجد –أي تنظفه– ولما ماتت صلى عليها الصحابة ودفنوها دون أن يؤذنوا رسول الله ﷺ بذلك، فلما افتقدها سأل عنها، فأخبروه بما جرى وقللوا من شأنها، فقال: "أفلا كنتم آذنتموني" ثم أتي قبرها فصلى عليه، ثم قال: "إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم"(٤).

يستلفت أنظارنا في هذا الموقف أمران:

الأول : افتقاد النبي ﷺ لها وسؤاله عنها مع أنها لم تكن صحابية كبيرة لها دور في نصرة دعوته، ولم تكن زوجة صحابي كبير يمكن أن يجامله بمثل هذا، بل جارية سوداء كانت تنظف المسجد قيل: إن اسمها (محجنة) وقيل: (أم محجن) هذا كل ما

(١) من قصيدة للشاعر محمد الأسمر بعنوان (ميلاد الرسول ﷺ) نشرت في مجلة الرسالة العدد ٢٠٣ ص ٥٧–٥٨.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الكبر (٥/٢٢٥٥/٥٧٢٤).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به (٤/١٨١٢/٢٣٢٦).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن (١/٤٤٨/١٢٧٢) ، ومسلم في كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر(٣/٦٥٩/٩٥٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

احتفظت به كتب التراجم عنها(١)، ومع هذا افتقدها النبي ﷺ وسأل عنها.

الثاني : لم يكتف النبي ﷺ بالدعاء لها في المسجد بين أصحابه حين علم بموتها، بل أبت الرحمة التي أسكنها الله تعالى قلبه الشريف إلا أن يذهب إلى قبرها ليصلي عليه ويدعو لها.

إنه ﷺ يعلم الصحابة –بل ويعلم البشرية كلها– بفعله كما علمهم بقوله أن المكانة الاجتماعية للإنسان لا ينبغي أن تكون هي الميزان الذي يوزن به، ولا ينبغي أن تكون مدعاة لتنقيص إنسان أو التقليل من شأنه لأن هذا مقياس جاهلي جاء الإسلام لينقضه من أساسه، وقد فقه الصحابة هذا عن رسول الله ﷺ فقد أخرج الشيخان من حديث المعرور بن سويد قال رأيت على أبي ذر بردا ، وعلى غلامه بردا ، فقلت : لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة ، وأعطيته ثوبا آخر ، فقال : كان بيني وبين رجل كلام ، وكانت أمه أعجمية ، فنلت منها ، فذكرني إلى النبي ﷺ، فقال لي : "أسببت فلانا؟" قلت : نعم ، قال : "أفنلت من أمه" قلت: نعم ، قال: "إنك امرؤ فيك جاهلية" قلت: على حين ساعتي هذه من كبر السن؟ قال : "نعم ، هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه"(٢).

هكذا قضى النبي ﷺ على رجل من خُلَّص أصحابه بأن ما قاله لخادمه رواسب جاهليه عليه أن يتخلص منها، وأن تفضل الله عز وجل على عبد من عباده بمزيد نعمة تجعله يستخدم عبدا آخر من عباد الله تعالى لا يستوجب غطرسة أو كبرا فالكل منضو تحت العبودية لله رب العالمين، ولن تجد مهما فتشت في المذاهب والأديان قديمها وحديثها مثل هذه المبادئ السامية في التعامل مع الرقيق أو الخدم "أن يطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق، فإن كلفه ما لا يطيق فعليه أن يعينه

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم ٣٤٥٢/٦ ، أسد الغابة ٢٥٤/٧ ، الإصابة ٣١٤/٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن (٥٧٠٣/٢٢٤٨/٥) ، ومسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل (١٦٦١/١٢٨٢/٣).

عليه".

أدرك أبو ذر ﷺ أنها جاهلية منتنة، وأن عليه أن يطهر نفسه من أوساخها، فتعامل مع غلامه بهذه الطريقة الراقية التي علمه إياها رسول الله ﷺ، ولا ضير عليه في أن يلبس مثل ما يلبسه خادمه فقيمة الإنسان ليست فيما يلبسه، وإنما فيما تنطوي عليه نفسه من شريف الخصال، وأي قيمة لمن يلبس فاخر الثياب وقلبه ملطخ بمستقذر الصفات، ولله در أبي الطيب المتنبي حين قال:

لا يعجبن مضيما حسن بزته ... وهل يروق دفينا جودة الكفن(١).

لقد أدرك أبو ذر ﷺ الذي تربى في المدرسة المحمدية أن الناس أصلهم واحد فلا داعي للتفاخر، وهل تغني عراقة الأصل عن عراقة الخصال، قال الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى: "وعراقة الأصل لا تمنح الرجل الفاشل فضلا، كالصلب إذا ترك للصدأ، يمسي لا غناء فيه، أما إذا تعهدته اليد الصنّاع فإنها تبدع منه الكثير"(٢).

لقد نجح النبي ﷺ في دعوته إلى نبذ العصبية الجاهلية إلى الحد الذي جعل عمر بن الخطاب وهو الشريف القرشي يقول عن بلال وهو العبد الحبشي: "أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا"(٣)، لا تكمن العظمة المحمدية هنا في الفكرة وحدها بل في التوقيت أيضا، قد تجد في كل مجتمع من المجتمعات المعاصرة من ينادي بالمساواة وحقوق الإنسان، لكن في ذلك الوقت الموغل في القدم، الذي توحشت فيه الطبقية، والذي كانت الطبقية فيه دينا يتدين الناس به في بعض المجتمعات يبشر النبي ﷺ بدعوته التي تدعو إلى المساواة وحماية العبيد والضعفاء، صلوات الله وسلامه عليك يا سيد البشرية، ومنقذها من الجهالة والضلالة.

وافى بها بيضاء عدل كلها ... لا تلفين بها الضعيف مضيعا
الناس كلهم سواسية بها ... لا (قيصرا) تلقى بها أو (تبعا)

(١) الأمثال السائرة من شعر المتنبي ص٣٠.
(٢) فقه السيرة ص٥٩.
(٣) أخرج البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب بلال بن رباح (٣/١٤٧١/٣٥٤٤).

وجرى العباد على السجية سجدا ... لله، لا لمسخريهم، ركعا
وتراهم حول النبي فلا ترى ... متملقا أو خائفا متخشعا
دين المساواة الصحيحة دينه ... يرعاهم في الله أشفق من رعى(١)

جاء في تاريخ الطبري أن المغيرة بن شعبة ﷺ دخل على رستم حتى جلس معه على سريره ووسادته، فوثبوا عليه وأنزلوه فقال: كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوما أسفه منكم! إنا معشر العرب سواء، لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتكم، ولكن دعوتموني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول، فقالت السفلة: صدق والله العربي، وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه(٢).

(١) من قصيدة للشاعر محمد الأسمر بعنوان (ميلاد الرسول ﷺ) نشرت في مجلة الرسالة العدد ٢٠٣ ص ٥٧-٥٨.
(٢) تاريخ الطبري المسمى (تاريخ الرسل والملوك) ٣/ ٥٢٢.
والدهاقين : جمع دهقان، والدهقان بالكسر والضم : زعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم. وهي كلمة فارسية معربة. القاموس المحيط ٢/١٥٧٤ ، المعجم الوسيط ١/٣٠٠.

المبحث السابع : رحمته ﷺ بالعصاة والمخطئين

أرسل الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ رحمة للعالمين ، فكان رحيما بالعصاة والمخطئين قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، قد يتعامل بعض المصلحين مع العاصي والمخطئ دائما على أن مجرم تجب محاسبته دون النظر إلى الملابسات المحيطة به، وإلى طبيعة النفس البشرية التي طبعت على محبة المخالفة، لكن الناظر في سنة النبي ﷺ يجد له طريقة مختلفة في التعامل مع العصاة والمخطئين ملاكها الحرص على تقويم سلوكم واستنقاذهم من حمأة الخطيئة ، وإمداد نفوسهم بالثقة والعزة التي تساعدهم على الترفع عن الدنايا، مما يمنحهم سمو النفس والتنزه عن التسفل الأخلاقي.

لقد كان النبي ﷺ على قدر كبير من فهم طبيعة النفس البشرية، ولهذا كان أقدر على تغيير طبائع الناس، وتغيير طبيعة النفس البشرية من أصعب ما يكون لأنها فطرت على محبة المخالفة قال ابن الجوزي: "تأملت حرص النفس على ما منعت منه، فرأيت حرصها يزيد على قدر قوة المنع، ورأيت في السرب الأول: أن آدم عليه السلام لما نهي عن الشجرة، حرص عليها مع كثرة الأشجار المغنية عنها، وفي الأمثال: (المرء حريص على ما منع، وتواق إلى ما لم ينل) ويقال: (لو أمر الناس بالجوع، لصبروا، ولو نهوا عن تفتيت البعر؛ لرغبوا فيه، وقالوا: ما نهينا عنه إلا لشيء)، وقد قيل: (أحب شيء إلى الإنسان ما منعا)"(١).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول ﷺ: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله فيغفر لهم"(٢)، لا يحسبن بعض المتعجلين أن النبي ﷺ بهذا الكلام يفتح بابا للناس كي ينغمسوا في معاصي والمنكرات، كلا، لقد فتح النبي ﷺ بابا رحبا للإنسان ليخرج من خطيئته، إن شعور الإنسان بالذنب ووخز الضمير أمر إيجابي لكن ربما كانت له آثار سلبية خطيرة على الفرد والمجتمع، وذلك حين ييأس

(١) صيد الخاطر ص ٥٤.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار (٤/٢١٠٦/٢٧٤٩).

من رحمة الله تعالى، ومن إصلاح نفسه، لأجل هذا كان من المهم أن يبقى باب التوبة مفتوحا حتى لا ييأس أحد من تغيير نفسه وتطهيرها من حمأة الرذيلة.

أخرج البخاري من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، أن رجلا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكان يلقب حمارا ، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب ، فأتي به يوما فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به ؟ فقال النبي ﷺ: " لا تلعنوه ، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله"(١).

إن النبي ﷺ بقوله عن هذا الرجل : :إنه يحب الله ورسوله" يفتح له طاقة من النور لعلها تنتشله من ظلمة الخطيئة، ويشهد لهذا المعنى أيضا ما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ: أتي النبي ﷺ بسكران ، فأمر بضربه . فمنا من يضربه بيده ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه ، فلما انصرف قال رجل : ما له أخزاه الله ، فقال رسول الله ﷺ : " لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم"(٢)، إن الدعاء له بالصلاح والهداية أولى من الدعاء عليه، ولاشك أنه من الأفضل للمجتمع المسلم أن يتطهر هذا الرجل من أدران خطيئته، فليس ذلك نافعا له فحسب، بل وللمجتمع الذي يعيش فيه أيضا.

ولا يفوتنا هنا التنبيه على أمر في غاية الأهمية، وهو أن النبي ﷺ أقام الحد على هذا الرجل، وهذا يعني أن الرحمة بالعصاة لا تعني إعفاءهم من المساءلة حتى لا يتسع الخرق على الراقع، ويستفرغ كل مجرم طاقته في الإجرام انتظارا للرحمة والشفقة!!، ومن الخير لكل إنسان عاقل مكلف أن يكون مسؤولا عن تصرفاته لأن المحاسبة والمساءلة ترقى بالإنسان عن درجة الحيوانات والجمادات، وإذا كانت الحيوانات تحاسب عل سوء صنيعها في الدنيا وفي الآخرة(٣) أفلا يحاسب الإنسان الذي مازه الله بالعقل وأرسل له

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر (٦/٢٤٨٦/٦٣٩٨).

(٢) أخرجه البخاري بعد الحديث السابق مباشرة في كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر (٦/٢٤٨٦/٦٣٩٩).

(٣) أخرج مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٤/١٩٩٧/٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء".

والجلحاء: هي التي لا قرون لها، والقرناء: هي التي طال قرنها، والقصاص من القرناء للجلحاء ليس من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة. شرح النووي على مسلم ١٦/١٣٧.

الرسل وأنزل له الكتب؟! يحضرني هنا كلمة قرأتها للرئيس المفكر علي عزت بيجوفيتش رئيس البوسنة الأسبق : "إنه لا شيء يحط من قدر الإنسان أكثر من القول بأنه غير مسئول عن تصرفاته"(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله هلكت . قال : " ما لك ؟ " قال : وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: "هل تجد رقبة تعتقها ؟" قال : لا ، قال : "فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟" ، قال : لا ، فقال : "فهل تجد إطعام ستين مسكينا؟" . قال : لا ، قال : فمكث النبي ﷺ فبينا نحن على ذلك أتي النبي ﷺ بعرق فيها تمر – والعرق المكتل – قال : "أين السائل ؟" فقال : أنا ، قال : "خذها ، فتصدق به" فقال الرجل : أعلى أفقر مني يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لابتيها – يريد الحرتين(٢) – أهل بيت أفقر من أهل بيتي ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ، ثم قال : "أطعمه أهلك"(٣).

أتى هذا الرجل إلى النبي ﷺ معترفا بذنب ارتكبه، لقد خرق أحكام الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ، فهو في مقياس كثير من الدعاة والمصلحين اليوم مستحق للعقاب، أو اللوم والتوبيخ على الأقل وليس الإحسان، ومع هذا لم يوبخه النبي ﷺ، بل أعطاه طعاما رجع به إلى أهله، لقد رحم النبي ﷺ ضعفه أمام شهوته، ورحم فقره وفقر أولاده فتصدق عليه، فصلوات الله وسلامه عليه، ما أحلمه!.

ومن الأحايث التي تمثل منهجا تربويا فريدا في التعامل مع الخطأ وطريقة تقويمه ما أخرجه الشيخان من حديث أنس بن مالك ، أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة ، فشق ذلك عليه حتى رئي في وجهه ، فقام فحكه بيده ، فقال : "إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة ، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدميه" ثم أخذ طرف ردائه ، فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض ، فقال:

(١) قرأته منذ فترة في (كتابه الإسلام بين الشرق والغرب) ولم أهتد إلى موضعه في الكتاب الآن.
(٢) اللابة أو الحرة هي الأرض ذات الحجارة السود. النهاية ٢٧٤/٤ (لوب).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان (١٨٣٤/٦٨٤/٢)، ومسلم في كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم (١١١١/٧٨١/٢).

"أو يفعل هكذا"(١).

يستلفت أنظارنا في هذا الحديث عدة أمور جديرة بالتأمل والعناية:

أولها: غضبه ﷺ وظهور ذلك في وجهه الشريف لما رأى النخامة في قبلة المسجد، وهذا نابع من تعظيمه لشعائر الله تعالى، فلم يكن صلوات الله وسلامه عليه يغضب لنفسه، إنما كان يغضب إذا انتكت محارم الله تعالى، وقد بوب الإمام البخاري في كتاب الأدب من صحيحه بقوله: (باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله)، وأورد فيه هذا الحديث من رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

ثانيها: رفقه ﷺ في التعليم وذلك بعدم حرصه على معرفة المخطئ والتشهير به، وما كان أسهل أن يعرف مرتكب هذا الخطأ، فيقوم بتقريعه أمام أصحابه، لكن التوبيخ لا يصنع إنسانا ناجحا، لقد اكتفى بالتنبيه على الخطأ والتحذير منه بصرف النظر عن صاحبه، وقد كانت هذه طريقته صلوات الله وسلامه عليه، يكتفي بقوله : "ما بال أقوام يفعلون كذا"(٢)، وهذه الطريقة أقدر على حمل المخطئ على ترك خطئه، لأن النفس البشرية، في الغالب لا تعترف بخطئها إن ووجهت به، وتبحث في العادة عن المبررات الكاذبة التي تسوغ بها ارتكاب الخطأ، وإن كانت هذه المبررات غير كافية في نفس الأمر، لأن الاعتراف بالخطأ شديد على النفس يحتاج إلى عزيمة وإخلاص وتجرد، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾ [القيامة: ١٤-١٥].

ومما ينسب إلى الإمام الشافعي قوله:

تعمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد (٣٩٧/١٥٩/١)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد (٥٥١/٣٩٠/١).

(٢) من ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة (٧١٧/٢٦١/١) من أنس بن مالك ﷺ قال: " ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ... الحديث.

وإن خالفتني وعصيت قولي ... فلا تجزع إذا لم تعط طاعه(١)

ثالثها: مبادرة النبي ﷺ إلى إصلاح الخطأ بنفسه، فقد بادر صلوات الله وسلامه عليه إلى إزالة النخامة من جدار القبلة، باشر ذلك بنفسه هكذا قال أنس ﷺ: "فقام فحكه بيده"، ولم يكلف أحد أصحابه بفعل ذلك، وهذا درس مهم في الإصلاح، وهو أن الفكرة إذا أريد لها النجاح فعلى صاحبها أن يكون أول من يشارك فيها، لأن الداعي إلى شيء بقوله حين يعرض عنه بفعله كأنه يقول بلسان حاله: لو كان ما أدعوكم إليه مهما ونافعا لبادرتكم إليه.

رابعها: مخاطبته ﷺ للعاطفة والوجدان، وغوصه في أعماق النفس حتى يكون التزام الناس بالشرع نابعا عن محبة وقناعة، وليس تنفيذا لأمر سرعان ما يتجاوزه المرء حين يفتقد الرقيب، تأمل قوله ﷺ: "إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه"، وجاء عند مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتانا رسول الله ﷺ في مسجدنا هذا ، وفي يده عرجون ابن طاب(٢) ، فرأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بالعرجون ، ثم أقبل علينا فقال : "أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟" قال فخشعنا ، ثم قال : "أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟" قال : فخشعنا ، ثم قال: "أيكم يحب أن يعرض الله عنه ؟" قلنا : لا أينا ، يا رسول الله قال : "فإن أحدكم إذا قام يصلي ، فإن الله تبارك وتعالى قبل وجهه ، فلا يبصقن قبل وجهه ، ولا عن يمينه"(٣).

نلحظ هنا أن النبي ﷺ خاطب عاطفتهم واستثارها ليقبح هذا الفعل في نفوسهم إذا علموا أن الله عز وجل يعرض عمن يفعله، وليس بمسلم من أحب أن يعرض الله تعالى عنه، وقد أثرت موعظة رسول الله ﷺ في نفوسهم فخشعوا ، إن هذه الطريقة تجعل من

---

(١) ديوان الإمام الشافعي ص ٩٠.

(٢) ابن طاب: هو نوع من أنواع تمر المدينة منسوب إلى ابن طاب : رجل من أهلها. النهاية في غريب الحديث ١٤٩/٣ (طيب).
والعرجون للنخلة كالأغصان لسائر الشجر وهي الجريد والسعف، وإذا قدم العرجون استقوس وانعرج، والانعراج الانحراف عن الاستقامة. تفسير غريب ما في الصحيحين ٢٣٧/١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل (٣٠٠٨/٢٣٠٣/٤).

المرء رقيبا على نفسه، إذا ما فكرت في الهجوم على القبائح وجد وازعا من ضميره الداخلي يردعه عن الإقدام حتى لو كان بعيدا عن أعين الرقباء.

عن أبي أمامة ﷺ قال : إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه، فقال : "ادنه" ، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال : "أتحبه لأمك ؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك ، قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم"، قال : "أفتحبه لابنتك ؟" قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم"، قال : "أفتحبه لأختك؟"، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال : "ولا الناس يحبونه لأخواتهم"، قال : "أفتحبه لعمتك ؟"، قال: لا والله جعلني الله فداءك ، قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم"، قال : "أفتحبه لخالتك؟"، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم"، قال : فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه ، وحصن فرجه"، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء(١).

بهذه الطريقة التي لامست عقل وقلب ذلك الشاب استطاع النبي ﷺ أن يستخرج من قلبه محبة القبائح، وأن يجعل من وخز الضمير مانعا له من ارتكاب المحرمات، لقد أثمرت هذه الطريقة الحكيمة الهادئة في علاج ذلك الشاب، فلم يعد يلتفت إلى شيء من ذلك كما قال راوي الحديث.

"وقد استخدام الرسول الكريم ﷺ أكثر الوسائل أمانا، وقدرة على توصيل الرسالة:

١. أجلسه، والجالس أهدأ من الواقف، وأكثر قدرة على التحاور الرزين، وفيه تحقيق ألفة بينه وبينه؛ لكون الرسول ﷺ جالس أيضا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٦٥/٢٥٦/٥)، والطبراني في الكبير (٧٦٧٩/١٦٢/٨)، ومسند الشاميين (١٠٦٦/١٣٩/٢)، وابن عدي في الكامل ٤٥٢/٢-٤٥٣، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤١٥/٣٦٢/٤) من طريق حريز بن عثمان قال: حدثنا سليم بن عامر ، عن أبي أمامة به.

قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١٣٦٢/٣ : رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٢٩: رجاله رجال الصحيح.

قلت : إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، وحريز بن عثمان تكلم فيه لأجل النصب لكنه ثقة، ولأجل هذا ذكره ابن عدي في الكامل وقال ٤٥٣/٢: "وحريز بن عثمان من الأثبات في الشاميين يحدث عنه الثقات من أهل الشام ... وقد وثقه يحيى القطان ومعاذ بن معاذ وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ودحيم وإنما وضع منه بغضه لعلي ﷺ".

٢. تقبله: حيث تلاحظ المسافة الفاصلة بين الموجه والشاب، حيث دنا منه قريبا بحيث يستطيع لمسه في اللحظة المناسبة؛ ليتم استيعاب شاب مندفع للغاية لعمل مشين مستهجن قوبل بالرفض والزجر من المجتمع.

٣. حاوره: حيث لفت نظره إلى طبيعة الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه، وكونه يحكم بشريعة وأعراف صارمة في هذه القضية الحساسة التي حتى هو لا يرضاها لنفسه.

٤. تواصل معه جسديا: والذي كشفت الدراسات الحديثة أثره العظيم في فتح قلب المحاور والتأثير فيه لا سيما إذا كان محروما عاطفيا.

٥. دعا له: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه)"(١).

وهذا المسلك النبوي في التعليم والتوجيه لا تلمحه في موقف عابر أو عدة مواقف بل كان منهجا لازما له ﷺ في توجيه الناس وإرشادهم(٢)، وهكذا استطاع النبي ﷺ بحكمة واقتدار شديدين أن يغير طبيعة النفس ، وأن يعيد تشكيل الخامات الجاهلية ليستخرج منها هذه النفائس بشرية التي سادت العالم.

(١) يمكن أن نذكر هنا قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، وقصة معاوية بن الحكم السلمي لما تكلم في الصلاة في نماذج كثيرة لو أخذت في سردها لطال البحث.

(٢) مهارات التواصل مع الأولاد ص٤٢ ، ٤٢ باختصار.

المبحث الثامن : حسن عهده ﷺ

حسن العهد لا يعني الالتزام بالعهد، ولا يعني حفظ المعروف أو الجميل كما يمكن أن يتصوره بعض الناس، وإنما معناه أوسع من ذلك وهو الوفاء بحق العشرة، فالذين يعيشون في حياتنا كثيرون جدا نلقاهم ونتعامل معهم في الحضر والسفر، في العسر واليسر، قد يطول ارتباطنا بهم وقد يقصر، قد يحسنون إلينا، وقد نحسن نحن إليهم، وقد لا يحسن أحدنا إلى الآخر، وإنما نلقاهم فترة وجيزة، ثم تنقطع هذه العلاقة لأسباب اختيارية منا أو قهرية عنا، وكلما ازداد المرء نبلا كلما حفظ العشرة وصانها، فإن غاب من عاشره سأل عنه، وإن لقيه بعد مدة تفقده وسأل عن أحواله، فإن كان في حاجة مد إليه يد المساعدة، وهذا خلق النبيل نتعلمه من سيدنا رسول الله ﷺ بقوله وبفعله.

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي ، فقال : لها رسول الله ﷺ: "من أنت ؟" قالت : أنا جَثَّامة المزنية ، فقال : "بل أنت حَسَّانة المزنية ، كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ " قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت : يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ فقال : " إنها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان"(١).

لقد احتفى النبي ﷺ بهذه العجوز ليس لمعروف قدمته أو ستقدمه إليه، وإنما لأنها كانت تأتي إلى بيته في حياة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فصان ودها وحفظ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٠/٦٢/١) ، وابن الأعرابي في معجمه (٧٧٤/٤٠١/١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٩١٢٢/٥١٧/٦)، وفي الآداب ص٧٤، رقم (١٨٢)، وابن عبد البر في الاستيعاب ١٨١٠/٤، والخطيب البغدادي في الأسماء المبهمة ٤٨/١، وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة ٣٩٠/١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/٤، وابن الأثير في أسد الغابة ٥٣/٧، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٧١/١٠٢/٢ مختصرا) من طريق صالح بن رستم ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة رضي الله عنها به.

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة وليس له علة".

قلت: ليس الحديث على شرط واحد منهما لأن صالح بن رستم وهو الخزاز أورده البخارى مرة واحدة تعليقا، وروى له مسلم حديثا واحدا متابعة (الكاشف ٤٩٥/١)، وقد اختلف فيه النقاد فوثقه بعضهم ، وتكلم بعضهم في حفظه، وهو صدوق لا بأس بحديثه ما لم يخالف من هو أوثق منه، قال ابن عدي في الكامل ٧٢/٤: روى عنه يحيى القطان مع شدة استقصائه وهو عندي لا بأس به ولم أر حديثا منكرا جدا.

وعليه فالحديث حسن، وله طرق أخرى لا حاجة إلى الإطالة بها.

عهدها واحتفى بها ، فصلوات الله وسلامه عليه، علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأمته أن حسن العهد من صفات أهل الإيمان، وليس هو بالأمر الفضلة الذي يمكن للمؤمن أن يستغني عنه.

وقد نظم هذا الحديث أبو الحسن البوشنجي نظما لطيفا فقال(١):

روت لنا عن رسول الله عائشة ... قالت جزاها إله الخلق غفرانا:
كانت تزور رسول الله إمرأة(٢) ... يبرها جهده فضلا وإحسانا
فقلت: من هذه؟ قال النبي لها: ... هاتيك كانت تزور البيت أحيانا
تأتي خديجة ترعى حق جارتها ... وتلك تعرف حسن العهد إيمانا

وإذا ذكر حسن العهد ذكرت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، والمواقف المتعلقة بحسن عهده معها رضي الله عنها كثيرة شهيرة أكتفي هنا بهذا الموقف الآسر، عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة ، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها . قالت : فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة ، وقال : "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها ، فافعلوا" فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه ، وردوا عليها الذي لها(٣).

---

(١) المنظوم والمنثور من الحديث ص٥٤.

(٢) هكذا بهمزة القطع لأجل الوزن.

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة النبوية (سيرة ابن هشام ٦٥٣/١)، ومن طريقه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال (٢٦٩٢/٦٢/٣) ، وأحمد (٢٦٤٠٥/٢٧٦/٦)، وابن الجارود ص ٢٧٤، رقم (١٠٩٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٧٠٨/١٣٦/١٢)، وابن المنذر في الأوسط (٦٦٠٩/٢١٣/١١)، والطبراني في الكبير (١٠٥٠/٤٢٨/٢٢)، والطبري في تاريخه ٤٣/٢، والحاكم (٤٣٠٦/٢٥/٣)، (٥٠٣٨/٢٦٢/٣)، (٥٤٠٩/٣٦٦/٣)، (٦٨٤٠/٤٨/٤)، والبيهقي في السنن الكبرى(١٢٦٢٨/٣٢٢/٦)، ودلائل النبوة ١٥٤/٣ قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عائشة رضي الله عنها ... فذكره.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، ووافقه الذهبي.
قلت: الإمام مسلم إنما خرج لابن إسحاق في المتابعات، وحديثه حسن، وما يخشى من تدليسه قد زال بتصريحه بالسماع، وقد حسن إسناده ابن الملقن في البدر المنير ١١٧/٩.

تأمل قول عائشة رضي الله عنها: "رق لها رقة شديدة" لقد كان صلوات الله وسلامه عليه مفعما بالمعاني النبيلة، ذكرته هذه القلادة بخديجة التي أحبها وتعلق قلبه بها، وقد يقال: إنما رق لأجل ابنته، فيقال إن ذكر القلادة هنا مشعر بأن الرقة كانت لأجل ذكرى خديجة رضي الله عنها، وإلا لما كان لذكرها هنا معنى، وتكون حينئذ من جملة المال الذي تم إرساله لفداء أبي العاص، ويشهد لهذا ما جاء في رواية أخرى: "فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورق لها، وذكر خديجة وترحم عليها"(١).

أما قوله ﷺ لأصحابه: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها ، فافعلوا" فمما يعجز البيان عن تصوير العظمة فيه، إنها عبارة ملؤها الجلال والجمال، لم يشأ النبي ﷺ أن يتخذ من منصبه الديني أو السياسي وسيلة لفرض ما يريد على أصحابه، بل عرض الأمر عليهم بعبارة تفيض أدبا ولطفا، ولو شاء لأمرهم فابتدروا أمره، إنه درس بليغ لمن تولى أمرا من أمور المسلمين ألا يتصرف بالتشهي بل بما فيه مصلحتهم، ولا ينفرد بقرار يعود بالنفع على نفسه.

ما حيلة الشعراء ذاب غناؤهم ... رهبا لدى هذا الجلال الأعظم(٢)

لم يكن حسن عهده صلوات الله وسلامه عليه قاصرا على أقاربه، ومن يلوذ بهم بل كان حسن العهد حتى مع من لا يلتفت إليه الناس في العادة من الضعفاء والعبيد، ونحوهم، يتفقد أحوالهم ويسأل عمن غاب منهم، فعن أبي هريرة ، أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها فقالوا : ماتت ، قال : " أفلا كنتم آذنتموني " قال : فكأنهم صغروا أمرها، فقال : " دلوني على قبرها " فدلوه ، فصلى عليها ، ثم قال : "إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي

(١) أخرجها الواقدي في المغازي ١٣٠/١، وعنه ابن سعد في الطبقات ٣١/٨، قال الواقدي : حدثني المنذر بن سعد، عن عيسى بن معمر، عن عباد بن عبد الله، عن عائشة رضي الله عنها ... فذكره. والواقدي متروك كما في تقريب التهذيب ص٤٩٨، وشيخه المنذر بن سعد لم أجد له ترجمة، وعيسى بن معمر فيه لين كما في تقريب التهذيب ص٤٤٠، ولم أذكر هذه الرواية احتجاجا، وإنما أوردتها مستأنسا بها.

(٢) من قصيدة مطلعها (لغة الكلام كما رأيت على فمي خجلى) للشاعر الفيلسوف محمد إقبال، وقد بحثت عنها في مظانها من ديوانه فلم أظفر بها.

عليهم"(١).

يستلفت أنظارنا هنا افتقاد النبي ﷺ لهذه الجارية السوداء التي كانت تنظف المسجد وسؤاله عنها مع أن مجتمعه المحيط في ذلك الوقت لم يكن يرها شيئا يستحق السؤال عنه أو العناية به، تأمل قول الراوي: "فكأنهم صغروا أمرها"، ومع هذا افتقدها النبي ﷺ وسأل عنها، وأتى قبرها فصلى عليه، ولم يكتف بالدعاء لها في المسجد بين أصحابه، فصلوات الله وسلامه عليه ما أعظمه.

امتد حسن عهده صلوات الله وسلامه عليه ليشمل غير المسلمين، فعن أنس رضي الله عنه ، قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض ، فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له : "أسلم" ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم ﷺفأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : " الحمد لله الذي أنقذه من النار"(٢)، فعلى الرغم من اختلافه معه في الدين والمكانة الاجتماعية إلا أن النبي ﷺ صان وده، وذهب لزيارته في مرضه، وسر ﷺ بإسلامه ونجاته من النار، لقد انتفع الغلام بصحبة رسول الله ﷺ أكثر مما انتفع الرسول ﷺ بصحبته، وهذا أثر حميد من آثار حسن عهده ﷺ مع الناس.

علم النبي ﷺ أمته رعاية العهد حتى مع أصدقاء الأبوين بعد موتهما، وجعل هذا من أبر البر، فعن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر ﷺ لقي رجلا من الأعراب بطريق مكة ، فسلم عليه عبد الله ، وحمله على حمار كان يركبه . وأعطاه عمامة ، كانت على رأسه، فقلنا له : أصلحك الله إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير ، فقال عبد الله : إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : "إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه"(٣)، هكذا أدب النبي صلوات الله وسلامه عليه صحابته

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ (١/٤٥٥/١٢٩٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأم (٤/١٩٧٩/٢٥٥٢).

الكرام، وهذب نفوسهم، وأمدهم بما اشتملت عليه نفسه الزكية من شريف الخصال وكريم الشمائل، فصاغ منهم خلقا جديدا.

قال الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى: "لقد عمد ﷺ إلى الذخائر البشرية وهي أكداس من المواد الخام لا يعرف أحد غناءها، ولا يعرف محلها وقد أضاعتها الجاهلية والكفر والإخلاد إلى الأرض فأوجد فيها بإذن الله الإيمان والعقيدة وبعث فيها الروح الجديدة، وأثار من دفائنها وأشعل مواهبها، ثم وضع كل واحد في محله فكأنما خلق له، وكأنما كان المكان شاغراً لم يزل ينتظره ويتطلع إليه، وكأنما كان جماداً فتحول جسماً نامياً وإنساناً متصرفاً وكأنما كان ميتاً لا يتحرك فعاد حياً يملي على العالم إرادته وكأنما كان أعمى لا يبصر الطريق فأصبح قائداً بصيراً يقود الأمم: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢][1].

وأقول: إن عناية النبي ﷺ بهذه المعاني الإنسانية النبيلة، وقدرته على بثها في نفوس صحابته الكرام تكشف لنا عن صفاء جوهره الشريف، فأي نفس شريفة هذه التي كانت تسكن بدنه الطاهر؟! وأين تعلم هذه المعاني النبيلة في هذه البيئة الجاهلية؟!

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٠٢ بتصرف يسير.

الخاتمـــة

بعد هذا التطواف في رياض السنة الأنيقة ظهر لنا جليا كم كان نبينا صلوات الله وسلامه عليه مفعما بالمعاني الإنسانية النبيلة ، ورأينا جانبا مما انطوت عليه نفسه الشريفة ﷺ من سمو في علاقاته وتعامله مع الآخرين، على العكس تماما مما يردده الموتورون من الغربيين الذين امتلات قلوبهم كرها لشخصه الكريم، صلوات الله وسلامه عليه، فلماذا يكرهونه؟!!

هل يكرهونه لأنه تعلق بالحق وحده، ولم يلتفت إلى شيء من زخرف الحياة الدنيا، بل جعلها تحت قدميه الشريفتين؟!

أم يكرهونه لأنه حرر عقول الملايين من الخرافات التي أضلت كثيرا من البشر؟!

أم يكرهونه لأنه حرر الإنسان من العبودية لغير الله سبحانه وتعالى بعدما هانت نفوس الكثيرين منهم فعبدوا الأحجار وقدسوا البشر؟!

أم يكرهونه لأنه استطاع أن يقيم دولة قوية عن طريق العمل الجاد، والجهاد المستمر لا عن طريق ادعاء الخوارق والأكاذيب؟!

أم يكرهونه لأنه غاص في أعماق النفس البشرية وهذبها، فصاغ من خامات الجاهلية نفائس بشرية؟!

أم يكرهونه لأنه عاش عظيما ومات عظيما بشهادة أعدائه قبل أوليائه؟!

أم يكرهونه لأن دعوته كانت استنهاضا للهمة واستثارة للعقل وتنقية للضمير والوجدان؟!

أم يكرهونه لأنه رفض كل مقاييسهم القائمة على النفعية؟!

أم يكرهونه لأنه هزمهم وهزم دينهم ولا زال يهزمهم؟!

أم يكرهونه لأن دينه يفضح مخططاتهم الاستعمارية الرامية إلى استعباد الشعوب ونهب ثرواتها؟!

أم يكرهونه لأن دينه ينتشر في عقر دارهم رغم محاولاتهم البائسة لتشويهه وصد

الناس عنه؟!

أم يكرهونه ....

لقد كان الأولى بهم أن يزدادوا إجلالا لشخصه الكريم، وأن يأخذهم العجب كيف تتفجر ينابيع الإنسانية من شخص عاش في هذه البيئة الجاهلية التي اكتظت بالمفاسد والضلالات؟! هكذا فعل المنصفون منهم رغم أن بعضهم لم يؤمن برسالته ﷺ.

فانسب إلى ذاته ماشئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المصادر والمراجع(١)

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة : شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري ، تحقيق : دار المشكاة للبحث العلمي ، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).

(٢) الأحاديث المختارة : ضياء الدين محمد بن عبدالواحد الحنبلي المقدسي ، تحقيق : عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة– مكة المكرمة ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ).

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة– بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ).

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: تقي الدين بن دقيق العيد: تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ).

(٥) أخبار المدينة: لعمر بن شبة النمري. تحقيق: على محمد دندل. دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) .

(٦) أخلاق النبي ﷺ : عبد الله بن محمد بن جعفر بن حسين الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ . تحقيق: صالح بن محمد الونيان. دار المسلم ، الطبعة الأولى (١٩٩٨م).

(٧) الآداب : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالقدوس بن محمد نذير، مكتبة الرياض الحديثة– بالرياض ، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ) .

(٨) الأدب المفرد : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، خرَّج أحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي. دار البشائر الإسلامية– بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٩ هـ) .

(١) ما أهمل فيه ذكر بلد الطبع فهو مما طبع بمصر ، وما لم أذكر فيه سنة الطبع أو الطبعة فقد أهملت في النسخة التي وقعت لي .

(٩) الأدب: أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: د.محمد رضا القهوجي، دار البشائر الإسلامية – لبنان، ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ) .
(١٠)الاستذكار : أبو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي (ابن عبدالبر) ، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي. دار قتيبة– دمشق، ودار الوعي– حلب. الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ).
(١١)الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد القرطبي = ابن عبدالبر ، تحقيق محمد علي البجاوي، تصوير دار المعرفة – بيروت .
(١٢)أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري= ابن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، ومحمد عبدالوهاب فايد ، دار الشعب .
(١٣)الإسلام بين الشرق والغرب: على عزت بيجوفيتش، ترجمة : محمد يوسف عدس، مكتبة النور الكويتية، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
(١٤)الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د.عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ).
(١٥)الإصابة في تمييز الصحابة : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد علي البجاوي ، تصوير دار المعرفة – بيروت .
(١٦)اصطناع المعروف : أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد– ابن أبي الدنيا ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
(١٧)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر – بيروت، (١٤١٥هـ).
(١٨)الإفصاح عن معاني الصحاح: أبو المظفر يحيى بن هبيرة الشيباني، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن (١٤١٧هـ).

(١٩)إكمال المعلم : القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق : د / يحيى إسماعيل ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ) .

(٢٠)إكمال المعلم : القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق : د / يحيى إسماعيل ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ) .

(٢١)الأمالي : الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي أبو عبد الله ، تحقيق : د/ إبراهيم القيسي ، المكتبة الإسلامية ، ودار ابن القيم – عمان ، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).

(٢٢)الأمالي : لابن بشران، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. دار الوطن – الرياض . الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ) .

(٢٣)الأمثال السائرة من شعر المتنبي: إسماعيل بن عباد المشهور بالصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة – بغداد، الطبعة الأولى (١٣٨٥هـ).

(٢٤)الأوسط السنن والإجماع والاختلاف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ).

(٢٥)بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار : أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، وأحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).

(٢٦)البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف – بيروت.

(٢٧)البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير: لابن الملقن. تحقيق: جمال محمد السيد. دار العاصمة ، الرياض . الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ).

(٢٨)بغية الباحث : الحافظ نور الدين الهيثمي ، تحقيق د/حسين أحمد الباكري ، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ) .
(٢٩)تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ) .
(٣٠)التاريخ الروماني: د.عبد اللطيف أحمد علي، دار النهضة العربية – بيروت، الطبعة الأولى (٢٠١١م).
(٣١)التاريخ الكبير: لمحمد بن إسماعيل البخاري. مطبعة دار المعارف العثمانية– الهند. تصوير دار الفكر– بيروت.
(٣٢)تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي= ابن عساكر تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٥هـ) .
(٣٣)التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون – تونس .
(٣٤)تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب.
(٣٥)التفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).
(٣٦)تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).
(٣٧)تفسير غريب ما في الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: د.زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).
(٣٨)تقريب التهذيب: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد ، سوريا . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
(٣٩)تهذيب الآثار : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تحقيق: محمود شاكر. مطبعة المدني ، الطبعة الأولى.

(٤٠)تهذيب التهذيب: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ).

(٤١)تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي: تحقيق: د/بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة- بيروت. الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).

(٤٢)تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى (٢٠٠١م).

(٤٣)التوبيخ والتنبيه: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة الفرقان – القاهرة.

(٤٤)التوضيح لشرح الجامع الصحيح : سراج الدين عمر بن أحمد المعروف بابن الملقن ، حققه جماعة من الباحثين ، وزارة الأوقاف – قطر، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ).

(٤٥)الجرح والتعديل: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس(ابن أبي حاتم). مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- الهند. تصوير دار احياء التراث العربي- بيروت. الطبعة الأولي(١٣٧١هـ).

(٤٦)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني. تصوير دار الكتب العلمية .

(٤٧)الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث (١٩٩٧م).

(٤٨)دلائل النبوة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: عبدالمعطي قلعجي ، دار الريان ، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ).

(٤٩)دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: د.محمد رواس قلعه جي، دار النفائس – بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ).

(٥٠)ديوان الإمام الشافعي: تحقيق: د.محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ) .

(٥١)ديوان محمد إقبال: إعداد سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الثالثة (١٤٢٨هـ).

(٥٢)الذرية الطاهرة النبوية: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، تحقيق: سعد المبارك الحسن، الدار السلفية – الكويت، (١٤٠٧هـ).

(٥٣)الرسالة المحمدية: السيد سليمان الندوي، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

(٥٤)السنة : لأبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني البصري= ابن أبي عاصم تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي– بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ).

(٥٥)السنن الصغرى (المجتبى): لأحمد بن شعيب بن علي النسائي. ترقيم عبدالفتاح أبو غدة. تصوير مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

(٥٦)السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند. الطبعة الأولى (١٣٤٤ هـ)، تصوير دار المعرفة– بيروت.

(٥٧)السنن الكبرى: أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، تحقيق: دكتور عبدالغفار البنداري ، وسيد كسروي. دار الكتب العلمية– بيروت. الطبعة الأولى (١٤١١هـ).

(٥٨)السنن: أبو داود السجستاني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر – بيروت.

(٥٩)السنن:أبو عيسي محمد بن عيسي بن سورة الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض. تصوير دار الحديث .

(٦٠)السير والمغازي: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى (١٣٩٨ هـ).

(٦١)السيرة النبوية : أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق: مصطفى السقا، دار إحياء الكتب العربية.

(٦٢)سيرة النبي محمد ﷺ: كارين أرمسترونج، ترجمة د.فاطمة نصر، ود.محمد عناني، صدر عن (كتاب سطور) الطبعة الثانية (١٩٩٨م).

(٦٣)شرح النووي على صحيح مسلم بن الحجاج [يعرف بالمنهاج] : الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث ، (١٣٩٢هـ) .

(٦٤)شرح مشكل الآثار : للطحاوي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة– بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٥هـ) .

(٦٥)الشريعة : لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق: د.عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن – الرياض. الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).

(٦٦)شعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية– بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٠هـ).

(٦٧)صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ).

(٦٨)صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث – بيروت .

(٦٩)صيد الخاطر : أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: حسن المساحي سويدان، دار القلم – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ) .

(٧٠)الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدي ، تحقيق د/إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى، (١٩٦٨م) .

(٧١)علل الحديث : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي= ابن أبي حاتم. تحقيق: محب الدين الخطيب ، تصوير دار المعرفة – بيروت ، (١٤٠٥ هـ).

(٧٢)العلل الواردة في الأحاديث النبوية : علي بن عمر الدارقطني . تحقيق: د/ محفوظ الرحمن زين الله السلفي. دار طيبة، المدينة المنورة. الطبعة الأولى (١٤٠٥- ١٤١٢هـ).

(٧٣)عمدة القاري بشرح صحيح البخاري : لبدر الدين العيني ، دار إحياء التراث ، بيروت .

(٧٤)العمدة من الفوائد والأثار الصحاح والغرائب: فخر النساء شهدة بنت أحمد الكاتبة، تحقيق: فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي الطبعة الأولى (١٤١١هـ).

(٧٥)غريب الحديث : لأبي سليمان حمد بن محمد= الخطابي. تحقيق: عبد الكريم بن إبراهيم العزباوي. جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى (١٤٠٢ هـ).

(٧٦)غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة : لأبي القاسم خلف ابن عبد الملك= ابن بشكوال ، تحقيق: عز الدين علي السيد، ومحمد بن كمال الدين عز الدين. عالم الكتب- بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ).

(٧٧)فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت (١٣٧٩هـ).

(٧٨)فتح المنعم شرح صحيح مسلم : د / موسى شاهين لاشين ، مكتبة الشروق ، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

(٧٩)فضيلة الشكر لله على نعمته : محمد بن جعفر بن محمد بن سهل السامري أبو بكر الخرائطي تحقيق محمد مطيع الحافظ ، د. عبد الكريم اليافي ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ) .

(٨٠)فقه السيرة: محمد الغزالي، دار الريان، الطبعة الثامنة (١٤٠٧هـ).

(٨١)القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ) .

(٨٢)قضاء الحوائج: لأبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد- ابن أبي الدنيا ، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم. مكتبة القرآن- مصر .

(٨٣)القضاء والقدر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق صلاح الدين عباس ، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

(٨٤)الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني ، (١) تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلى معوض. دار الكتب العلمية-بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).

(٨٥)كتاب الضعفاء الكبير : أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسي العقيلي ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ).

(٨٦)الكرم والجود وسخاء النفوس: أبو جعفر محمد بن الحسين البُرْجُلاني، تحقيق: عامر حسن صبري، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ).

(٨٧)كشف المشكل من حديث الصحيحين : أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن – الرياض (١٤١٨هـ) .

(٨٨)ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٨٩)مجتمعات تحت حصار الطغيان: د.عبد الحكيم العفيفي، دار الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى(١٩٩٢م).

(٩٠)مجلة الرسالة: أحمد حسن الزيات، العدد (٥٤)، (٢٠٣).

(٩١)مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

(٩٢)مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، المطبعة الأميرية الطبعة الثانية (١٣٣٥هـ).

(٩٣)المستدرك على الصحيحين: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية- بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ) .

(٩٤)المسند : أبو داود سليمان بن داود بن الجارود = الطيالسي ، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي. دار هجر ، الطبعة الأولى.(١٤١٩هـ) .

(٩٥)المسند : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، (١) نسخة مصورة عن الطبعة الميمنية ، مكتبة قرطبة، (٢) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

(٩٦)مسند البزار = البحر الزخار : أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار ، تحقيق: د/ محفوظ الرحمن زين الله. مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة. الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ).

(٩٧)مسند الروياني : محمد بن هارون الروياني : تحقيق أيمن علي أبو يماني. مؤسسة قرطبة ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

(٩٨)مسند الشاميين : لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب- الطبراني. تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي. موسسة الرسالة- بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ).

(٩٩)مسند الشهاب : للقاضي محمد بن سلامة القضاعي. تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة- بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ).

(١٠٠)المسند: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي. تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث، دمشق. الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ).

(١٠١)المسند: عبدالله بن المبارك المروزي. تحقيق : د/صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف- الرياض. الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ) .

(١٠٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار : القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، دار التراث.

(١٠٣) المصنف في الأحاديث والأثار: أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي= ابن أبي شيبة تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار التاج – بيروت، تصوير مكتبة الرشد (١٤٠٩هـ) .

(١٠٤) مطالع الأنوار على صحاح الآثار : أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف (ابن قرقول)، تحقيق: دار الفلاح ، وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الأولى (١٤٣٣ هـ).

(١٠٥) المعجم : لأبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد (ابن الأعرابي) تحقيق: عبدالمحسن بن ابراهيم بن أحمد الحسيني. دار ابن الجوزي– السعودية. الطبعة الأولى (١٤١٨هـ– ١٩٩٧ م).

(١٠٦) المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب= الطبراني. تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني. دار الحرمين، مصر الطبعة الأولى (١٤١٥هـ) .

(١٠٧) معجم الشيوخ: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: د.وفاء تقي الدين، دار البشائر – دمشق، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).

(١٠٨) معجم الصواب اللغوي: د.أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ).

(١٠٩) المعجم العربي لأسماء الملابس: د.رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية (١٤٢٣هـ).

(١١٠) المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، الدار العربية للطباعة– بغداد، مصورة دار البيان العربي، الطبعة الأولى (١٣١٩هـ).

(١١١) معجم اللغة العربية المعاصرة: د.أحمد مختار عبد الحميد، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ).

(١١٢) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الرابعة (١٤٢٥هـ) .

(١١٣) معرفة الرجال للإمام أبي زكريا يحيى بن معين [رواية أبي العباس بن محرز] ، تحقيق أبي عمر الأزهري ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).

(١١٤) معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. دار الوطن . السعودية. الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).

(١١٥) المعلم بفوائد مسلم: أبو عبد الله محمد بن علي المازري، ت: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر – تونس، الطبعة الثانية (١٩٨٨م).

(١١٦) المغازي: محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ).

(١١٧) المغني عن حمل الأسفار (ضمن تخريج أحاديث إحياء علوم الدين): أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، استخراج: محمود الحداد ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ) .

(١١٨) المفهم شرح تلخيص صحيح مسلم : أبو العباس القرطبي ، تحقيق : محيي الدين مستو وجماعة ، دار ابن كثير – بيروت .

(١١٩) مكارم الأخلاق ومعاليها: لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد السامري= الخرائطي. تحقيق: د. سعاد سليمان الخندقاوي. مطبعة المدني– مصر. الطبعة الأولى (١٤١١هـ)

(١٢٠) المنتخب من مسند عبد بن حميد : عبد بن حميد ، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي ، عالم الكتب– بيروت . الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ) .

(١٢١) المنظوم والمنثور من الحديث النبوي: أبو الحسين عفيف بن محمد الخطيب البوشنجي، تحقيق: محمد صباح منصور، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٣هـ).

(١٢٢) مهارات التواصل مع الأولاد: د. خالد بن سعود بن عبد العزيز الحليبي، مركز الملك عبد الله للحوار الوطني – الرياض، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ).

(١٢٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار المعرفة– بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ).

(١٢٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري. تحقيق: د.محمود الطناحي، وطاهر أحمد الزواوي ، دار الفكر – بيروت.